على مائدة العقيدة

٥

دور الشيعة في بناء الحضارة الإسلامية

جعفر السبحاني

دور الشيعة
في بناء
الحضارة الإسلامية

جعفر السبحاني

انية شؤون التعليم والبحوث
الإسلامية



دور الشيعة في بناء الحضارة الإسلامية

المؤلف: الشيخ المحقق جعفر السبحاني
الموضوع: الشيعة والحضارة الإسلامية
الناشر: معاونية شؤون التعليم والبحوث الإسلامية
الطبعة: الثانية
تاريخ النشر: ١٤١٦ هـ ق

معاونية شؤون التعليم والبحوث الإسلامية

التقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يأتي المرء بجديد إذا ذهب إلى القول بأنّ الحقبة الزمنية التي شهدت البعثة المباركة لخاتم الأنبياء محمد ﷺ وسنوات عمره المعطاءة القصيرة كانت تشكل بحد ذاتها انعطافاً رهيباً وتحولاً كبيراً في حياة البشرية، في وقت شهد فيه الخط البياني الدال على مدى الابتعاد المتسارع عن المنهج السماوي وشرائعه المقدسة انحداراً عميقاً وتردياً ملحوظاً أصبح من العسير على أحد تحديد مدى انتهائه وحدود أبعاده.

بلى، انّ مجرد الاستقراء المتعجّل لأبعاد التحول الفكري والعقائدي في حياة البشرية عقيب قيام هذه الدعوة السماوية في أرض الجزيرة - المسترخية على رمال الوهم والخداع وسيل الدم المتدافع - يكشف وبلا تطرّف ومحاباة عظم ذلك التأثير الإيجابي الذي يمكن تحديد مساره من خلال رؤية التحول المعاكس في كيفية التعامل اليومي مع أحداث الحياة وتطوراتها، وبالتالي في فهم الصورة الحقيقية لغاية خلق الإنسان ودوره في بناء الحياة.

كما أنّ هذه الحقائق المجسّدة تكشف بالتالي عن عظم الجهد الذي بذله صاحب الرسالة ﷺ في تحقيق هذا الأمر وتثبيت أركانه، في وقت

شهدت فيه البشرية جمعاء ضياعاً ملحوظاً في جميع قيمها ومعتقداتها، وخلطاً وتزييفاً مدروساً في مجمل عقائدها ومرتكزات أفكارها، كرس بالتالي مسارها المبتعد عن الخط السماوي ومناهجه السوية، وأنّ أي استعراض لمجمل القيم السائدة آنذاك ـ والتي كانت تشكل المعيار الأساسي والمفصل المهم الذي تستند إليه مجموع السلوكيات الفردية والجماعية وتشذّب من خلاله ـ يكشف عن عمق المأساة التي كانت تعيشها تلك الأُمم في تلك الأزمنة الغابرة.

فمراكز التشريع الحاكمة آنذاك ـ والتي تعتبر في تصور العوام وفهمهم مصدر القرار العرفي والشرعي المدير لشؤون الناس والمتحكم بمصائرهم ومسار تفكيرهم ـ تنحصر في ثلاث مراكز معلومة أركانها الأساسية: اليهود بما يمتلكونه من طرح عقائدي وفكري يستند إلى ثروات طائلة كبيرة، والصليبيون بما يشكلونه من قوة مادية ضخمة تمتد مفاصلها ومراكزها إلى أبعد النقاط والحدود، وأصحاب الثروة والجاه من المتنفّذين والمتحكمين في مصائر الناس.

ومن هنا فإنّ كل الضوابط الأخلاقية والمبادئ العرفية والعلاقات الروحية والاجتماعية كانت تخضع لتشذيب تلك المراكز وتوجيهها بما يتلائم وتوجهاتها التي لا تحدها أي حدود.

إنّ هذه المراكز الفاسدة كانت تعمل جاهدة لأن تسلخ الإنسان من كيانه العظيم الذي أراده الله تعالى له، ودفعه عن دوره الكبير الذي خلق من أجله عندما قال تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ بل تعمل جاهدة لأن تحجب تماماً رؤية هذه الحقيقة العظيمة عن ناظر الإنسان

ليبقى دائماً بيدقاً أعمى تجول به أصابعهم الشيطانية لتنفيذ أفكارهم المنبعثة من شهواتهم المنحرفة.

وأمّا ما يمكن الاعتقاد به من بقايا آثار الرسالات السابقة، فلا تعدو كونها ذبالات محتضرة لم تستطع الصمود أمام تيارات التزييف والكذب والخداع التي مسخت صورتها إلى أبعد الحدود.

نعم بُعث محمد ﷺ إلى قوم خير تعبير عنهم قول جعفر بن أبي طالب للنجاشي: أيها الملك كنّا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف.

هذا في الوقت الذي كانت فيه مراكز القوى تلك تتضخّم وتتعاظم على حساب ضياع البشرية وموت مبادئها.

وهكذا فقد كانت الدعوة الإسلامية الفتيّة وصاحبها ﷺ في مواجهة هذه المراكز بامتداداتها الرهيبة وقدراتها العظيمة، والتي شكلت أعنف مواجهة شرسة وقتال ليس له مثيل صبغ أرض الجزيرة ورمالها الصفراء، بلون أحمر قاني لسنوات لم يعرف فيها رسول الله ﷺ وخيرة أصحابه للراحة طعماً وللسكون مسكناً.

إنّ تلك الحصون المليئة بالشر والخراب لم تتهاوى إلاّ بعد جهد جهيد وسيل جارف من الدماء الطاهرة التي لا توزن بها الجبال، من رجال أوقفوا أنفسهم وأرواحهم من أجل هذا الدين وصاحبه ﷺ.

إستطاع رسول الله ﷺ أن يقيم حكومة الله تعالى في الأرض وأن يثبّت فيها الأركان على أساس الواقع والوجود، فلم تجد آنذاك كل قوى الشرّ بدّاً

من الإختباء في زوايا العتمة والظلام تتحيّن الفرص السانحة والظروف الملائمة للانقضاض على هذا البنيان الذي بدا يزداد شموخاً وعلوّاً مع تقادم السنين.

ولقد كان رسول الله ﷺ يدرك عياناً أنّ نقطة ضعف هذه الأُمّة يكمن في تفرّقها وفي تبعثر جهودها ممّا سيمكن من ظهور منافذ مشرعة في هذا البنيان الكبير لا تتردد أركان الكفر وأعداء الدين المتلوّنين والمتسترين من النفوذ خلالها والتسلل بين أهلها، وفي ذلك الخطر الأكبر. ولذا فإنّ رسول الله ﷺ كان يصرّح ويحذّر من افتراق أُمّته، ويلوح للمفترقين بالنار والجحيم.

بيد أنّ ما حذّر منه ﷺ وما كان يخشاه، بدت أوّل معالمه الخطرة تتوضح في اللحظات الأُولى لرحيله ﷺ وانتقاله إلى عالم الخلود، وعندها وجد أعداء هذا الدين الفرصة مؤاتية للولوج إلى داخل هذا البناء والعمل على هدمه بمعاول أهله لا بمعاولهم هم.

فتفرّقت هذه الأُمّة فرقاً فرقاً وجماعات جماعات، لا تتردد كل واحدة من أن تكفّر الأُخرى وتكيل لها التهم الباطلة والافتراءات الظالمة، وانشغل المسلمون عن أعدائهم بقتال إخوانهم والتمثيل بأجسادهم، وحل بالأُمّة وباء وبيل بدا يستشري في جسدها الغض بهدوء دون أن تنشغل بعلاجه.

نعم بعد هذه السنين المرة من الفرقة والتشتّت بدأ المسلمون في أُخريات المطاف يلعقون جراح خلّفتها سيوف إخوانهم لا سيوف أعدائهم في حين ينظر إليهم أعداؤهم بتشفّ وشماتة.

إنّ ما حلَّ بالمسلمين من مصائب وتخلّف في كافة المستويات أوقعتهم في براثن المستعمرين أعداء الله ورسله يعود إلى تفرق كلمتهم وتبعثر جهودهم وتمزّق وحدتهم، ولعل نظرة عاجلة لما يجري في بقاع المعمورة المختلفة يوضّح لنا هذه الصورة المؤلمة والمفجعة، فمن فلسطين مروراً بلبنان وأفغانستان، والبوسنة والهرسك، والصومال وغيرها وغيرها مشاهد مؤلمة لنتائج هذا التمزّق والتبعثر.

وإن كان من كلمة تقال فإنّ للجهود المخلصة الداعية إلى الالتفات إلى مصدر الداء لا أعراضه فقط الثقل الأكبر في توقي غيرها من المضاعفات الخطيرة التي تتولد كل يوم في بلد من بلاد المسلمين لا في غيرها.

ولا نغالي إذا قلنا بأنّ للجمهورية الإسلامية في إيران ومؤسّسها الإمام الخميني ـ رضوان الله تعالى عليه ـ الفضل الأكبر في تشخيص موضع الداء وتحديد موطنه.

ولعل الإستقراء المختصر لجمل توجيهات الإمام ـ رحمه الله ـ طوال حياته ولسنين طويلة يدلّنا بوضوح على قدرته التشخيصية في وضع يده على موضع الداء، ودعوته إلى الالتفات إلى ذلك، لا إلى الإنشغال بما عداه.

فمن نداء له ـ رحمه الله ـ إلى حجاج بيت الله الحرام في عام (١٣٩٩هـ) قال: ومن واجبات هذا التجمع العظيم دعوة الناس والمجتمعات الإسلامية إلى وحدة الكلمة وإزالة الخلافات بين فئات المسلمين، وعلى الخطباء والوعّاظ والكتّاب أن يهتمّوا بهذا الأمر الحياتي ويسعوا إلى إيجاد

جبهة للمستضعفين للتحرر بوحدة الجبهة ووحدة الكلمة وشعار (لا إله إلاّ الله) من أسر القوى الأجنبية الشيطانية والمستعمرة والمستغلة، وللتغلب بالاخوة الإسلامية على المشاكل.

يا مسلمي العالم، ويا أتباع مدرسة التوحيد رمز كل مصائب البلدان الإسلامية هو اختلاف الكلمة وعدم الإنسجام، ورمز الانتصار وحدة الكلمة والإنسجام، وقد بيّن الله تعالى ذلك في جملة واحدة: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا۟﴾ والاعتصام بحبل الله تبيان لتنسيق جميع المسلمين من أجل الإسلام وفي اتجاه الإسلام ولمصالح المسلمين، والإبتعاد عن التفرقة والإنفصال والفئوية التي هي أساس كل مصيبة وتخلّف.

وقال ـ رحمه الله ـ في كلمة له مع وفد من كبار علماء الحرمين الشريفين (١٣٩٩هـ): رمز انتصار المسلمين في صدر الإسلام كان وحدة الكلمة وقوة الإيمان.

لو كان ثمة وحدة كلمة إسلامية، ولو كانت الحكومات والشعوب الإسلامية متلاحمة فلا معنى لأن يبقى ما يقارب مليارد إنسان مسلم تحت سيطرة القوى الأجنبية، لو أنّ هذه القدرة الإلهية الكبرى تقترن بقوة الإيمان ويسيروا جميعاً متآخين على طريق الإسلام فلا تستطيع أية قوة أن تتغلب عليهم.

وأكّد ـ رحمه الله ـ على مغزى سر انتصار المسلمين في صدر الإسلام الأوّل رغم قلّة عددهم وتواضع امكانياتهم، وانكسارهم في الوقت الحاضر مع عظم امكانياتهم وكثرة عددهم بقوله: يا مسلمي العالم ماذا دهاكم فقد دحرتم في صدر الإسلام بعدة قليلة جداً القوى العظمى وأوجدتم الأُمّة

الكبرى الإسلامية الإنسانية، واليوم وأنتم تقربون من مليارد إنسان وتملكون مخازن الخيرات الكبرى التي هي أكبر حربة تقفون أمام العدو بمثل هذا الضعف والإنهيار ، أتعلمون أنّ كلّ مآسيكم تكمن في التفرقة والاختلاف بين زعماء بلدانكم وبالتالي بينكم أنتم أنفسكم.

وقال أيضاً: إثارة الاختلافات بين المذاهب الإسلامية من الخطط الإجرامية التي تدبّرها القوى المستفيدة من الخلافات بين المسلمين، بالتعاون مع عملائها الضالّين بمن فيهم وعاظ السلاطين المسودة وجوههم أكثر من سلاطين الجور أنفسهم، وهؤلاء يؤججون نيران هذه الاختلافات باستمرار، وكل يوم يرفعون عقيرتهم بنعرة جديدة، وفي كل مرحلة ينفذون خطة لإثارة الخلافات، آملين بذلك هدم صرح الوحدة بين المسلمين من أساسه.

وهكذا فإنّ الصورة تبدو أكثر وضوحاً عند قراءة سلسلة خطب الإمام الخميني وتوصياته المستمرة إلى عموم المسلمين وخصوصاً في مواسم الحج التي تشكّل أفضل تجمّع إسلامي تشارك فيه أعداد ضخمة من المسلمين ومن شتّى بقاع المعمورة في مؤتمر ضخم لا بد من أن يكرّسه المسلمون لتدارس أُمورهم وعلاج مشاكلهم ومناقشة معتقداتهم، حيث أنّ الإمام ـ رحمه الله ـ كان يواظب على إثارة هذه الأُمور الحساسة والمهمة في حياة الإسلام والمسلمين، ولم يدخر في ذلك جهداً.

كما أنّ الإطلاع على فتاوى الإمام ـ رضوان الله تعالى عليه ـ يكشف بوضوح عمق توجهه إلى هذا الأمر الحيوي والدقيق، وتأكيده عليه.

فمن توجيهاته ـ رحمه الله ـ إلى الحجاج نورد هذه الملاحظات المختصرة:

قال: يلزم على الإخوة الإيرانيين والشيعة في سائر البلدان الإسلامية أن يتجنّبوا الأعمال السقيمة المؤدّية إلى تفرقة صفوف المسلمين، ويلزم الحضور في جماعات أهل السنّة، والإبتعاد بشدة عن تشكيل صلاة الجماعة في المنازل ووضع مكبّرات الصوت بِشَكلٍ غير مألوف وعن إلقاء النفس على القبور المطهرة وعن الأعمال التي قد تكون مخالفة للشرع.

يلزم ويجزي (أي يكفي) في الوقوفين متابعة حكم القاضي من أهل السنّة، وإن حصل لكم القطع بخلافه.

على عامّة الإخوة والأخوات في الدين أن يلتفتوا إلى أنّ واحداً من أهم أركان فلسفة الحج إيجاد التفاهم وترسيخ الإخوّة بين المسلمين.

وغير ذلك من الفتاوى المهمّة التي ندعو جميع المسلمين إلى مطالعتها والتأمّل فيها.

وعلى هذا الخط المبارك واصلت الجمهورية الإسلامية مسارها في الدعوة إلى وحدة كلمة المسلمين بعد رحيل الإمام الخميني ـ رضوان الله تعالى عليه ـ وأخذت تؤكد عليه في كل مناسبة ومكان على لسان قائدها سماحة آية الله السيد علي الخامنئي ـ حفظه الله ـ وباقي مسؤوليها، ولم تدّخر جهداً في العمل على اقامة هذا الأمر الشرعي المهم والدفاع عنه، من خلال توجيهاتها المستمرة في هذا المنحى أو دعمها غير المحدود لكل الجهود المخلصة في هذا الميدان.

وأخيراً.. فإنّ هذا الكتاب الماثل بين يدي القارئ الكريم ـ وهو بقلم الباحث القدير الشيخ جعفر السبحاني ـ دعوة للتأمّل ضمن الحدود

التي أشرنا إليهـا في حديثنا، وهي بالتـالي تعكس صورة صادقـة عن حجم الهجمـة الكافـرة التي أرادت تمزيـق الأُمّـة ودفعها إلى التشتت، وبيان مـا أخذت من مساحة واسعة في فكر هذه الأُمّة ومعتقداتها.

بلى لسنـا في معـرض الـدفـاع عن الـوجـود المقـدس لهذه الشريعـة السماوية فحسب، بـل ابتغينا إزاحة اللثام وإمـاطة الخبث عن الـدسائس الخبيثة التي تريد بالأُمّة الهلاك.

وقد قـامت معاونية شـؤون التعليم والبحوث بنشره، حتى يعـم نفعه ويتعرف المسلمون على الشيعة عن كثب.

والله تعالى من وراء القصد.

معاونية شؤون التعليم والبحوث

الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحديث عن دور الإنسان في بناء الحضارة البشرية حديث ذو شجون لا يسع المرء وهو يتحدث عنه إلاّ أن يتبيّن بوضوح أثر العمق العقائدي في استقرار هذه الحضارات المتلاحقة والتي تركت ـ وبلا شك ـ لها بعض الآثار الدالّة عليها، وهذا العامل الداعم لقيام تلك الحضارات يشكل وبلا أدنى ريب المفصل الأساسي في هيكلية ذلك البناء الكبير.

ولقد شهدت الحياة البشرية على هذا الكوكب (الأرض) حضارات متعدّدة، لكلّ ميزاتها وخصائصها التي ضبطها التاريخ، وأفصحت عنها الاكتشافات الأثرية.

ومن مشاهير هذه الحضارات: الحضارة الصينية، المصرية، البابلية، اليونانية، الرومانية، الفارسية، وأخيراً الحضارة الغربية القائمة في عصرنا الراهن، ولكلّ من هذه الحضارات انطباعاتها الخاصة.

وأمّا الحضارة الإسلامية و التي تتوسّط بين الحضارة الأخيرة (الغربية) وما تقدّمها فهي تعدّ بلا شك من أكبر الحضارات في تاريخ الإنسان وأكثرها اهتماماً بالعلم والفلسفة والأدب والفنون. وهي الأساس الوطيد

الذي قامت عليه حركة النهضة الأوربية. ولقد وضع عشرات من العلماء موسوعات وكتب لبيان ما قدّمته الحضارة الإسلامية من خدمات جليلة إلى المجتمع البشري في المجالات المختلفة.

ولا يمكن لأحد القول بأنّ الحضارة الإسلامية حضارة عربية بحتة تفرّد العرب في إقامة بنيانها وتثبيت أركانها، بقدر ما كانت تمثّل الجهد المتفاعل لجميع الشعوب الإسلامية بقومياتها المختلفة من عرب وفرس وترك وغيرهم من القوميات، الذين ذابوا في الإسلام ونسوا قوميّاتهم ومشخّصاتهم العنصرية والبيئية.

ومن هنا فإنّ أي تعبير عن الحضارة التي سادت أبان تلك الحقبة الزاهرة من حياة البلاد العربية وما يجاورها، فإنّ المراد به الإشارة إلى الحضارة الإسلامية بكل أبعادها وأُسس بنيانها، والتي شارك فيها جميع المسلمين، المخلصين لرسالة السماء التي جاء بها نبيّ الرحمة محمّد ﷺ.

إنّ المسلمين الأوائل وبفضل جهدهم المخلص في بناء حياة الأُمم والشعوب، استطاعوا أن يقيموا للإسلام حضارة عظيمة ورائعة مترامية الأطراف كانت متوازية مع خط انتشار الدعوة الإسلامية، فلا غرو أن تخفق راياتها في بقاع واسعة من العالم تمتد من حدود الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً.

بلى لقد استطاع المسلمون أن يقيموا حضارة حقيقية ترتكز على أُسس أخلاقية وعقائدية سماوية، ضربت جذورها في أعماق البناء الإنساني واستطاعت أن تجعل منه وكما أراد خالقه له أن يكون خليفته في أرضه.

وإذا كان «ويل دورانت» في كتابه الشهير «قصة الحضارة» قد أشار إلى أنّ الحضارة تتألّف من عناصر أربعة، وهي:

١ـ الموارد الاقتصادية.

٢ـ النظم السياسية.

٣ـ التقاليد الخلقية.

٤ـ متابعة العلوم والفنون.

وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنّه إذا ما أمن الإنسان من الخوف تحرّرت في نفسه دوافع التضلّع وعوامل الابداع والانشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وإزدهارها[1].

فإنّ ما ذكره ذلك العالم الباحث من أُسس الحضارة وأركانها يرجع إلى تفسير الحضارة بالمعنى الجامع الشامل للحضارة الإلهية والماديّة، وأمّا بالنظر إلى الحضارة المرتكزة على الأُسس الدينية فمن أهم أركانها توعية الإنسان في ظلال الاعتقاد بالله سبحانه واليوم الآخر، حتى يكون هو الدافع إلى العمل والالتزام بالسلوك الأخلاقي والديني، فالحضارة المنقطعة عن التوعية الدينية حضارة صناعية لا إنسانية، وتمدّن ماديّ وليس بإلـهي.

إنّ مؤسّس الحضارة الإسلامية هو النبيّ الأكرم ﷺ وقد جاء بسنن وقوانين دفعت البشرية إلى مكارم الأخلاق كما دفعتهم إلى متابعة العلوم والفنون، واستغلال الموارد الطبيعية، وتكوين مجتمع تسود فيه النظم

١ـ ويل دورانت: قصة الحضارة ١ / ٣.

الاجتماعية المستقيمة.

ولا يشك في ذلك من قرأ تاريخ الإسلام، وتاريخ النبيّ الأكرم ﷺ، خصوصاً إذا قارن بين حياة البشرية بعد بزوغ شمس الإسلام بما قبلها.

ثمّ إنّ المسلمين شيّدوا أركان الحضارة الإسلامية في ظل الخطوط التي رسمها النبيّ الأكرم ﷺ من خلال القرآن والسنّة، فأصبحت لهم قوّة اقتصادية، ونظم سياسية، وتقاليد دينية وخلقيّة، وألوا العلوم المختلفة جلّ اهتمامهم، فبرز منهم العديد من العلماء المتفوّقين والبارعين في شتىٰ مناحي العلم، ورفدوا حركة تطور الحضارة البشرية بجهودهم المخلصة، والتي تعكسها مؤلّفاتهم القيّمة والتي لا زالت حتى يومنا هذا مثار أعجاب الجميع، بل انّهم عمدوا إلى ترجمة كتب العلم المختلفة لدى غيرهم من الأُمم، مثل الفرس واليونانيين وغيرهم، فأغنوا المكتبة الإسلامية بسيل وافر من المؤلفات القيّمة والمهمة.

لقد شملت الحضارة الإسلامية كلّ ميادين الحياة المختلفة، فلم تلق جلّ جهدها في جانب واحد من جوانب الرقي الحضاري دون غيره، بل شمل اهتمامها كلّ جوانب الحياة المختلفة، وتلك حقيقة لا يمكن لأحد الاغضاء عنها، فإذا كانت كل حضارة من الحضارات المعروفة قد تميّز برقي في جانب واحد من الجوانب الحياتية، سواء الاقتصادي كان أو العسكري، فإنّ الحضارة الإسلامية تتمتّع بمجموع هذه المميزات فلم تترك ميزة دون أُخرى.

والذي يطيب لنا هنا ذكر مشاركة الشيعة في بناء هذه الحضارة، خصوصاً فيما يتعلق بالركن الرابع وهو متابعة العلوم والفنون، وأمّا الأركان

الثلاثة الباقية فغير مطلوبة لنا في هذا المقام وذلك: لأنّ الموارد الاقتصادية شارك فيها المسلمون انطلاقاً من دوافعهم النفسية من خلال الاهتمام بالأمور التالية:

١ـ التنمية الزراعية بجوانبها المختلفة.

٢ـ استخراج وصناعة المعادن المختلفة، مثل الذهب والفضة والأحجار الكريمة بأنواعها النفيسة المختلفة.

٣ـ إحداث القنوات المائية وبناء السدود.

٤ـ الاهتمام بتطوير الثروة الحيوانية وتوسيعها.

٥ـ صناعة الألبسة والأقمشة وغيرها.

٦ـ صناعة الورق وكتابة الكتب ونشرها في العالم.

٧ـ ايجاد المواصلات البرّية والبحريّة، وتنظيم حركة الملاحة، ومحاربة قطاع الطرق واللصوص في البحر والبرّ.

٨ـ العناية الفائقة بالتجارة، وعقد الاتّفاقيات التجارية مع البلدان المجاورة.

إلى غير ذلك ممّا يوجب ازدهار الوضع الاقتصادي، فلا يصح إبعاد قوم عن تلك الساحة وتخصيص الازدهار الاقتصادي بطائفة دون أخرى، فإنّ الإنسان حسب الفطرة والدافع الغريزي ينساق إلى ذلك.

وأمّا النظم السياسية، فإنّ الدول الإسلامية المختلفة قد ساهمت في إرساء دعائمها وتثبيت أركانها خلال سني حكمها، ولا فرق في ذلك بين دول الشيعة منها كالحمدانيين والبويهيين والفاطميين وغيرهم كالسامانيين

والسلاجقة وغيرهم.

وأمّا التقاليد الخلقية فقد كانت منبثقة من صميم الإسلام، ومأخوذة من الكتاب والسنّة، كما أنّ التقاليد القومية للشعوب المختلفة، والتي لم تكن معارضة لمبادئ الشريعة الإسلامية السمحاء فقد أفسح لها المسلمون المجال ولم ينه عنها.

فلأجل ذلك نركّز على الركن الرابع من هذه الأركان الأربعة للحضارة، وهو متابعة العلوم والفنون، فهي الطابع الأساسي للحضارة الإسلامية، وبها تتميّز عن ما تقدّم عليها وما تأخّر، فنأتي بموجز عن دور الشيعة في بناء هذا الركن ـ أي ازدهار العلوم والفنون ـ ليظهر أنّهم كانوا في الطليعة، وكان لهم الدور الأساسي في ازدهارها.

ولما كانت الحضارة الإسلامية تستمد أسباب وجودها من الكتاب والسنّة، فكلّ من قدّم خدمة للقرآن والسنّة لفظاً ومعنى، صورة ومادة، فقد شارك في بناء الحضارة الإسلامية. وإليك هذا البيان تأييداً لما أسلفنا:

١ ـ قدماء الشيعة وعلم النحو:

إنّ دراسة القرآن بين الأُمّة ونشر مفاهيمه يتوقّف على معرفة العلوم التي تعد مفتاحاً له، إذ لولا تلك العلوم لكانت الدراسة ممتنعة، ونشرها في ربوع العالم غير ميسور جداً. بل لولا هذه العلوم ونضجها لحرم جميع المسلمين حتى العرب منهم من الاستفادة من القرآن الكريم. لأنّ الفتوحات فرضت على المجتمع العربي الاختلاط مع بقية القوميات، وسبَّب ذلك خطراً على بقاء اللغة العربية، وكان العرب عند ظهور الإسلام

يعربون كلامهم على النحو الذي كان في القرآن، إلاّ من خالطهم من الموالي والمتعرّبين، ولكن اللحن لم يكثر إلاّ بعد الفتوح وانتشار العرب في الآفاق، فشاع اللحن في قراءة القرآن، فمست الحاجة الشديدة إلى ضبط قواعد اللغة [١].

فقام أبو الأسود الدؤلي بوضع قواعد نحوية بأمر الإمام أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ، فأبو الأسود إمّا واضع علم النحو أو مدوّنه، وكان من سادات التابعين، وقد صاحب علياً وشهد معه صفّين، ثمّ أقام في البصرة.

يقول الشيخ أبو الحسن سلامة الشامي النحوي: إنّ علياً دخل عليه أبو الأسود يوماً. قال: فرأيته مفكّراً، فقلت له: ما لي أراك مفكّراً يا أمير المؤمنين ؟ قال: «إنّي سمعت من بعض الناس لحناً، وقد هممت أن أضع كتاباً أجمع فيه كلام العرب».

فقلت: إن فعلت ذلك أحييت أقواماً من الهلاك.

فألقى إليَّ صحيفة فيها: الكلام كلّه إسم وفعل وحرف، فالإسم ما دلّ على المسمّى، والفعل ما دلّ على حركة المسمّى، والحرف ما أنبأ عن معنى وليس بإسم ولا فعل. وجعل يزيد على ذلك زيادات.

قال: واستأذنته أن أصنع في النحو ما صنع، فأذن، وأتيته به فزاد فيه ونقص.

وفي رواية: أنّه ألقى إليه الصحيفة وقال له: «انح نحو هذه» فلهذا

١ـ جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ١/ ٢١٩.

سمّي النحو نحواً [١].

ومن المعلوم أنّ هـذه القواعد لم تكن لتسد الحاجة الملحّة، ولكن أبا الأسـود قام باكمالها وضبطها وبتمييـز المنصـوب من المرفـوع، والإسم مـن الفعل، بعـلامات نسمّيهـا الإعراب. فـالروايـات مجمعة على أنّ أبـا الأسود (وهي شيعـي المذهب توفّي سنـة ٦٩هـ) إمّـا مدوّن علم النحـو أو واضعه وأضحى ما دوّنه مصدراً لهذا العلم في العصور اللاحقة.

وهناك كلام لابن النديم دونك لفظه، يقول:

قـال محمّد بـن إسحـاق: زعم أكثـر العلماء أنّ النحـو أُخذ عـن أبي الأسود الدؤلي، وأنّ أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـعليه السلامـ.

ثـمّ نقل عـن الطبري وقال: إنّما سمّـي النحو نحـواً لأنّ أبا الأسـود الدؤلي قال لعلي ـعليه السلامـ وقد ألقى عليه شيئاً مـن أُصول النحو، قال أبو الأسود: واستأذنته أن أصنع نحو ما صنع. فسمّي ذلك نحواً [٢].

٢ـ وإذا كـان أبو الأسـود الدؤلي واضعـاً للنحو، فـالخليل بـن أحمد الفـراهيدي هـو المنقّـح له والبـاسط لـه. قـال أبو بكـر محمّـد بن الحسـن الـزبيدي: والخليـل بن أحمد، أوحـد العصر، وفريـد الدهـر، وجهبذ الأُمّـة، وأُستاذ أهل الفطنة، الذي لم ير نظيره، ولا عرف في الدنيا عديله، وهو الذي

١ـ حسـن الصدر: تأسيس الشيعة ص ٥١ ولقـد بلغ الغاية في ذلك المجال فنقل كلمات المؤرّخين في ما قام به الإمام وتلميذه في تأسيس علم النحو.

٢ـ ابن النديم: الفهرست ص ٦٦ وللكلام صلة من أراد فليرجع إلى المصدر.

بسط النحو ومدّ أطنابه وسبب علله وفتق معانيه وأوضح الحجاج فيه، حتى بلغ أقصى حدوده، وانتهى إلى أبعد غايته... وسيوافيك أنّ الخليل من أصحاب الإمام الصادق ومن شيعته.

ثمّ إنّ علماء الفريقين شاركوا في انضاج هذا العلم وإيصاله إلى القمة. وليس للمنصف بخس حق طائفة لمصالح أُخرى، ولكن لما كان الهدف هو بيان دور الشيعة في تطوير العلوم وتتبّعها فانّا نذكر من ألف في علم النحو من قدماء الشيعة فقط، ومنهم:

١ــ عطاء بن أبي الأسود: قال الشيخ الطوسي في باب أصحاب الحسين بن علي: ومنهم ابن أبي الأسود الدؤلي.

وقال الحافظ السيوطي في الطبقات: عطاء، استاذ الأصمعي وأبو عبيدة [١].

٢ـ أبو جعفر محمّد بن الحسن بن أبي سارة الرواسي الكوفي: قال السيوطي: هو أوّل من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو وسمّاه الفيصل، وهو أُستاذ الكسائي والفرّاء [٢].

قال النجاشي: روى هو وأبوه عن أبي جعفر وأبي عبد الله ـ عليهما السلام ـ وله: كتاب الوقف والابتداء، وكتاب الهمز، وكتاب إعراب القرآن [٣].

٣ـ حمران بن أعين، أخو زرارة بن أعين: كان نحوياً إماماً فيه، عالماً

١ـ تأسيس الشيعة : ص ٦٥.

٢ـ المصدر نفسه: ص ٦٧.

٣ـ النجاشي: الرجال ٢/ ٢٠٠ برقم ٨٨٤.

بالحديث واللغة والقرآن، أخذ النحو والقراءة عن ابن أبي الأسود، وأخذ عنه الفرّاء، وكان قد أخذ الحديث عن الإمام السجاد والباقر والصادق. وآل أعين بيت كبير بالكوفة من أجلّ بيوت الشيعة، ولأبي غالب الزراري رسالة في ترجمة آل أعين قال: كان حمران من أكابر مشايخ الشيعة وكان عالماً بالنحو واللغة [1].

٤ـ أبو عثمان المازني، بكر بن محمّد: قال النجاشي: كان سيد أهل العلم بالنحو والعربية واللغة، ومقدمته بذلك مشهورة، وكان من علماء الإمامية، قد تأدّب على يد إسماعيل بن ميثم [2]، له في الأدب: كتاب التصريف، كتاب ما يلحن فيه العامة، التعليق. مات سنة ٢٤٨ هـ [3].

٥ـ ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق السكيت: كان مقدّماً عند أبي جعفر (الجواد) وأبي الحسن (الهادي) ـ عليهما السلام ـ وكانا يختصّانه. وله عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ رواية ومسائل، وقتله المتوكّل لأجل تشيّعه عام ٢٤٤هـ وأمره مشهور. وكان وجيهاً في علم العربية واللغة، ثقة، مصدّقاً، لا يطعن عليه. وله كتب: إصلاح المنطق، كتاب الألفاظ، كتاب ما اتّفق لفظه واختلف معناه، كتاب الأضداد، كتاب المذكّر والمؤنث، كتاب المقصور والممدود، و ... [4].

١ـ أبو غالب: رسالة في آل أعين ٢ـ٣ بتلخيص.

٢ـ وهو من أئمّة المتكلّمين في الشيعة.

٣ـ النجاشي: الرجال ١/ ٢٧٢ برقم ٢٧٧ وذكره ابن النديم في أخبار النحويين واللغويين ص ٩٠، والخطيب البغدادي في تاريخ مدينة بغداد ج ٧ برقم ٣٥٢٩.

٤ـ المصدر نفسه: ٢/ ٤٢٥ برقم ١٢١٥.

وسبب قتله: إنّ المتوكّل سأله يوماً وهو يعلّم ابنيه وقال: يا يعقوب أيّهما أحبّ إليك، ابناي هذان، أم الحسن والحسين؟ فأجابه: «انّ قنبراً خادم علي خير منك ومن ابنيك» فأمر المتوكّل، فسلّوا لسانه من قفاه فمات، وقد خلّف بضعة وعشرين أثراً في النحو واللغة والشعر [١].

٦ـ ابن حمدون، أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود بن حمدون: قال فيه النجاشي: الكاتب النديم شيخ أهل اللغة ووجههم. أُستاذ أبي العباس [٢] وكان خصيصاً بسيدنا أبي محمّد العسكري وأبي الحسن قبله. له كتب. ثمّ ذكر كتبه [٣].

٧ـ أبو إسحاق النحوي، ثعلبة بن ميمون: قال عنه النجاشي: كان وجهاً في أصحابنا، قارئاً، فقيهاً، نحويّاً، لغويّاً، راوية، وكان حسن العمل، كثير العبادة والزهد، روى عن الصادق والكاظم [٤]. وبما أنّ الإمام الكاظم توفّي عام مائة وثلاث وثمانين، فهو من أهل المائة الثانية.

٨ـ قتيبة النحوي الجعفي، الكوفي: قال النجاشي: المؤدب، المقرئ، ثقة عين، روى عن الصادق ـ عليه السلام ـ [٥].

وذكره السيوطي في بغية الوعاة، ووصفه في تأسيس الشيعة بأنّه إمام

١ـ جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ١/ ٤٢٤ وترجمه ابن خلّكان في وفياته، وياقوت في طبقات الأدباء وغيرهم.

٢ـ يريد ثعلب (٢٠٠ـ ٢٩١هـ).

٣ـ النجاشي: الرجال ١/ ٢٣٧ برقم ٢٢٨.

٤ـ المصدر نفسه: ١/ ٢٩٤ برقم ٣٠٠،وذكره ابن حجر في لسان الميزان ج٢ برقم ٣٣٢.

٥ـ المصدر نفسه: ٢/ ١٨٥ برقم ٨٦٧.

أهل النحو واللغة [١].

٩ـ إبراهيم بن أبي البلاد: قال النجاشي: كان ثقة، قارئاً، أديباً، روى عن الصادق والكاظم ـ عليهما السلام ـ [٢].

١٠ـ محمّد بن سلمة اليشكري: قال النجاشي: جليل من أصحابنا الكوفيين، عظيم القدر، فقيه، قارئ، لغوي: راوية، خرج إلى البادية ولقى العرب وأخذ عنهم. وأخذ عنه يعقوب بن السكيت. ثمّ ذكر كتبه [٣]، وبما أنّه شيخ ابن السكيت فهو من أهل المائة الثانية وأوائل الثالثة.

١١ـ أبو عبد الله النحوي، الحسين بن أحمد بن خالويه: سكن حلب ومات بها، وكان عارفاً بمذهبنا، مع علمه بعلوم العربية، واللغة، والشعر. وله كتب، ومن كتبه: مستحسن القراءات والشواذ، كتاب في اللغة [٤].

ووصفه السيوطي في الطبقات: إنّه إمام اللغة والعربية، وغيرهما من العلوم الأدبية، دفن ببغداد سنة ٣١٤هـ.

١٢ـ أبو القاسم التنوخي: قال الشيخ رشيد الدين ابن شهر آشوب: انّه من جملة الشعراء المجاهرين بالشعر في مدح أهل البيت.

وقال ياقوت: كان في النحو وحفظ الأحكام وعلم الهيئة العروض قدوة، وكان يحفظ من اللغة والنحو شيئاً عظيماً [٥].

١ـ تأسيس الشيعة: ص ٧٦.
٢ـ النجاشي: الرجال ١/ ١٠٢ برقم ٣١.
٣ـ المصدر نفسه: ٢/ ٢١٨ برقم ٨٩٧.
٤ـ المصدر نفسه: ١/ ١٨٨ برقم ١٥٩.
٥ـ تأسيس الشيعة ٩١.

ما ذكرناه نماذج من أئمّة اللغة من الشيعة الإمامية في القرون الأولى، وأمّا من وليهم من الأئمّة فحدّث عنهم ولا حرج، فإنّ ذكر أسماءهم ونبذٍ من حياتهم يدفعنا إلى تأليف كتاب مفرد، وقد كفانا في ذلك ما كتبه السيد الصدر في هذ المجال، فقد بلغ النهاية، وقد ذكر أئمّة النحو من الشيعة إلى القرن السابع [1] فبلغ ١٤٠ إماماً وأُستاذاً ومؤلّفاً في الأدب العربي، ولا سيما النحو، وبينهم شخصيات بارزة كالشريف المرتضى والشريف الرضي وابن الشجريّ الذي يقول في حقه السيوطي:

كان أوحد زمانه، وفرد أوانه في علم العربية ومعرفة اللغة وأشعار العرب، توفّي عام ٥٤٢ هـ.

ونجم الأئمّة الرضي الاستر آبادي، إلى غير ذلك من الشخصيات البارزة.

٢ـ قدماء الشيعة وعلم الصرف:

إنّ أوّل من دوّن الصرف أبو عثمان المازني، وكان قبل ذلك مندرجاً في علم النحو، كما ذكره في كشف الظنون، وشرحه أبو الفتح عثمان بن جنّي المتوفّى في ٣٩٢ هـ [2].

وأبسط كتاب في الصرف، ما كتبه نجم الأئمّة محمّد بن الحسن الاستر آبادي الغروي، وله شرح الشافية في الصرف، كما له شرح الكافية في النحو، وكلا كتابيه جليلا الخطر محمودا الأثر، قد جمع بين الدلائل والمباني.

١ـ لاحظ تأسيس الشيعة ٣٩ـ١٣٧.

٢ـ كشف الظنون ١/ ٢٤٩ مادة «كافية».

قال في كشف الظنون: للكافية شروح أعظمها شرح الشيخ رضيّ الدين محمّد بن الحسن الطوسي الاستر آبادي النحوي. قال السيوطي: لم يؤلّف عليها، بل ولا في غالب كتب النحو مثله جمعاً وتحقيقاً، فتداوله الناس واعتمدوا عليه، وله فيه أبحاث كثيرة ومذاهب ينفرد بها، فرغ من تأليفه سنة ٦٨٣هـ.

أقول: فرغ من شرح الكافية سنة ٦٨٦ هـ في النجف الأشرف، كما هو مذكور في آخر الكتاب.

ولنكتف بهذا المقدار عن مساهمة الشيعة مع غيرهم في بناء الأدب العربي، وتجديد قواعده وارسائها في مجالي النحو والصرف، وفيما ذكرناه غنى وكفاية.

٣ـ قدماء الشيعة وعلم اللغة:

ونريد بعلم اللغة: الاشتغال بألفاظ اللغة من حيث أُصولها، واشتقاقاتها ومعانيها، وهو يعد بحق من العلوم الإنسانية التي ساهمت بشكل مباشر في إقامة صرح الحضارة الإسلامية، وقد ظهر في ميدان هذا العلم المهم جملة واسعة من علماء الشيعة، خلّفوا آثاراً مهمة أصبحت زاداً لطلّاب العلم والمعرفة، ومن هؤلاء الأفاضل:

١ـ أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد البصري الفراهيدي الأزدي: سيد أهل الأدب، وهو أوّل من ضبط اللغة، وأوّل من استخرج علم العروض إلى الوجود، فهو أسبق العرب إلى تدوين اللغة وترتيب ألفاظها على حروف المعجم، فألّف كتابه «العين» الذي جمع فيه ما كان معروفاً في أيّامه من

ألفاظ اللغة، وأحكامهـا، وقواعدها، ورتّب ذلك على حروف الهجاء، لكنّه رتّب الحروف حسب مخارجها من الحلق، فـاللسان، فالأسنـان، فالشفتين، وبدأ بحرف العين وختمهـا بحروف العلّة «واي» وسُمّي الكتـاب بأوّل لفظ من ألفاظه [١].

وكان الكتـاب مخطوطـاً عزيز النسخـة، لكنّه رأى النـور أخيراً وطبع محقّقاً.

والخليل بن أحمد الذي لا يشك أحد في تشيّعه من أعلام القرن الثاني الهجري، قـال المرزباني: أنّـه ولد عـام مائة مـن الهجرة وتـوفّي سنة ١٧٠ أو ١٧٥ هـ وقال ابن قانع: إنّه توفّي سنة ١٦٠هـ [٢].

قد ألّـف كتابـاً في الإمامـة، أورده بتمامه محمّـد بن جعفـر المراغي في كتابه واستدرك عليه ما لم يذكره وأسماه «الخليلي».

قال النجاشي: محمّد بن جعفر بن محمّد، أبو الفتح الهمداني الوادعي المعروف بـ «المراغي» كـان يتعاطى الكلام، له : كتاب مختـار الأخبار، كتاب الخليلي في الإمامة، وكتاب ذكر المجاز من القرآن [٣].

قال العلاّمة في الخلاصة: كان خليل بن أحمد أفضل الناس في الأدب وقولـه حجّة فيـه واخترع علم العروض، وفضلـه أشهر مـن أن يذكـر وكان إماميّ المذهب [٤].

١ـ آداب اللغة العربية ٤٢٧ـ ٤٢٨.

٢ـ المامقاني: تنقيح المقال ١/ ٤٠٣ برقم ٣٧٢٩.

٣ـ النجاشي: الرجال ٢/ ٣١٨ برقم ٣١٨.

٤ـ العلاّمة الحلّي: الخلاصة، القسم الأول ٦٧.

وقال ابن داود: الخليل بن أحمد شيخ الناس في علوم الأدب، فضله وزهده أشهر من أن يخفى، كان إماميّ المذهب [١].

٢ـ أبان بن تغلب بن رباح الجريري: من أصحاب الباقر والصادق، قال النجاشي: كان قارئاً من وجوه القرّاء، فقيهاً، لغوياً، سمع من العرب وحكى عنهم [٢].

وقال ياقوت: ذكره أبو جعفر الطوسي في مصنّفي الإمامية. وقال: هو ثقة جليل القدر عظيم المنزلة، وقال: كان قارئاً، فقيهاً، لُغويّاً، نبيهاً، ثبتاً [٣].

٣ـ ابن حمدون النديم: شيخ أهل اللغة ووجههم وأُستاذ أبي العباس ثعلب [٤].

٤ـ أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد الأزدي: الأديب اللغوي، صاحب الجمهرة في اللغة، مات هو وأبو هاشم الجبّائي في يوم واحد، فقال الناس: مات علم اللغة والكلام. وألّف كتاب «جمهرة اللغة» على منوال كتاب « العين» للخليل، واختصره الصاحب بن عباد وسمّاه «جوهرة الجمهرة» [٥].

٥ـ الصاحب بن عباد: عظيم الشأن، جليل القدر في العلم والأدب،

١ـ ابن داود الحلّي: الرجال ، القسم الأول ٨٨ برقم ٥٧٤.
٢ـ النجاشي: الرجال ١/ ٧٣ برقم ٦.
٣ـ ياقوت: معجم الأدباء ١/ ١٠٧.
٤ـ الطوسي: الفهرست ١١/ ٥٦. وقد تقدم ذكره في أساتذة النحو.
٥ـ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢/ ١٩٥.

وألّف الصدوق (٣٠٦ـ٣٨١هـ) كتاب عيون أخبار الرضا ـ عليه السلام ـ لأجله، ومن كتبه في اللغة: «المحيط» عشر مجلدات، قد عرفت تلخيص «الجوهرة»، وأمّا تشيّعه فحدّث عنه ولا حرج.

وكم له من قصائد في مدح أهل البيت نذكر منها:

ألم تعلموا أنّ الوصي هو الذي
آتى الزكاة وكان في المحراب
ألم تعلموا أنّ الوصي هو الذي
حكم الغدير له على الأصحاب [1]

وهكذا فإنّنا نتوقّف عند هذا الحد من إيراد نماذج من كبار القدماء الذين شاركوا المسلمين في تأسيس العلوم العربية وتطويرها، ومن أراد التفصيل فليطلبه من محالّه [2].

٤ـ قدماء الشيعة وعلم العروض:

كما أسلفنا سابقاً من أنّ الشيعة بمفكّريها كانت هي المبتكرة لعلم النحو بتوجيه من الإمام علي ـ عليه السلام ـ باب علم النبي الأكرم ﷺ، فإنّها أيضاً المبتكرة لعلم العروض والمؤسسة لبنيانه الشامخ، وإليك أسماء بعض

١ـ الغدير ٤/ ٦٦ وله قصائد أُخرى مذكورة فيه.

٢ـ لاحظ تأسيس الشيعة للسيد الصدر فقد ترجم فيه ٢٤ شخصاً كلّهم من أقطاب علم اللغة، وللمناقشة في بعض ما ذكره وإن كان مجالاً لكنّه لا يحط من عظم الجهد الذي بذله في طريق تأليفه.

رواده ورجاله:

١ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري: قال ابن خلّكان: هو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود، وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحراً[١].

٢ـ كافي الكفاة الصاحب بن عباد: الطائر الصيت، له كتاب الاقناع في العروض[٢].

وقد توالى التأليف بعده إلى عصرنا هذا، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى المعاجم حول مصنّفات الشيعة الإمامية.

ومن أبرز ما ألّف في العروض أخيراً أثران:

أحدهما: للسيد الشريف هبة الدين الشهرستاني (١٣٠١ـ١٣٨٦ هـ) أسماه «رواشح الفيوض في علم العروض» وقد طبع في طهران ١٣٢٤هـ.

ثانيهما: منظومة رصينة قيّمة قلّما رأى الدهر مثلها للشيخ مصطفى التبريزي (١٢٩٨ـ ١٣٣٨هـ) شرحها العلاّمة أبو المجد الشيخ محمّد رضا الاصفهاني (١٢٨٦ـ١٣٦٢هـ) وأسماها «اداء المفروض في شرح ارجوزة العروض» وإليك مستهلّها:

١ـ وفيات الأعيان ٢/ ٢٤٤ برقم ٢٢٠.

٢ـ قال في كشف الظنون ١/ ١٤٠: الاقناع في العروض ــ لأبي القاسم إسماعيل عباد الوزير المعروف بالصاحب المتوفّى سنة (٣٨٥ هـ)، كشف الظنون ١/ ١٣٢.

الحمـد لله على اسبـاغ مـا　　أولى لنـا مـن فضلـه و أنعما
وخصّنـا منـه بـواف وافـر　　من بحر جوده المديـد الزاخـر
صلّـى على نبيّنـا المختـار　　مـا عـاقـب الليـل على النهـار
وآلـه معـادن الـرسـالـة　　بهم يـداوي علـل الجهـالـة
خذها ودع عنك رمـوز الزامرة　　كعـادة تجلى عليـك بـارزة
تجمـع كـل ظـاهـر وخـاف　　في علمـي العـروض والقـوافي [١]

٥ـ قدماء الشيعة وطرائف الشعر:

لا نريـد من الشعـر في المقام الألفـاظ المسبوكـة، والكلمات المنضّدة على أحد الأوزان الشعرية، وانّما نريد منـه ما يحتوي على المضامين العالية في الحياة، ومـا يبث روح الجهاد في الإنسـان، أو الذي يشتمـل على حجاج في الدين أو تبليغ للحق. وعلى مثل هذا الشعـر بنيت الحضارة الإنسانية، وهو مقياس ثقافة الأُمّة ورقيّها، وله خلود عبر القرون لا تطمسه الدهور والأيّام.

فما نقرأه في الـذكر الحكيـم من التنـديد بـالشعراء مـن قولـه تعالى: ﴿والشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوون﴾ [٢]، إنّما يراد بذلك الشعراء المأجورون الذين يتـاجرون بـالشعر فيقلبـون الحقائق، ويصنعـون مـن الظالم مظلـوماً، ومـن المظلـوم ظالماً، ولأجـل ذلـك قـال سبحانـه: ﴿أَلَمْ تَـرَ أَنَّـهُمْ فِي كُلِّ وادٍ

١ـ نحتفظ منها بنسخة بخط السيد الإمام الخميني ـ قدس سره ـ وفرغ من نسخها عام ١٣٤٦هـ.

٢ـ الشعراء / ٢٢٤.

يَـهيمُونَ * وأنَّـهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ﴾ (١).

ومن هنا فإنّا نعني بحديثنا هنا أُولئك الشعراء الذين أوقفوا أشعارهم في خدمة كلمة الحق وإعلاء شأن الدين الحنيف. ولقد ظهرت في سماء الشعر وفي القرون الأُولى للعهد الإسلامي من بين رجالات الشيعة طائفة من الشعراء حظوا برعاية أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وتقديرهم.

وإليك أسماء بعض من شعراء الشيعة مع ذكر أبيات من شعرهم الخالد:

١ـ قيس بن سعد بن عبادة:

سيّد الخزرج، و الصحابي الجليل، كان زعيماً مطاعاً، كريماً ممدوحاً، وكان من شيعة علي ـ عليه السلام ـ ومن أشد المتحمّسين له، بعثه أميراً على مصر سنة ٣٦هـ، وهو وأبوه وأهل بيته من الذين لم يبايعوا أبا بكر وقالوا: لا نبايع إلاّ عليّاً (٢).

ومن أشعاره التي أنشدها بين يدي أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ في صفّين:

قلتُ لما بغى العدو علينا ... حسبنا ربّنا ونعم الوكيل
حسبنا الذي فتح البصـ ... ـرة بالأمس والحديث الطويل
وعليٌّ إمامنا وإمامٌ ... لسوانا أتى به التنزيل

١ـ الشعراء / ٢٢٥ـ٢٢٦.

٢ـ الطبري: التاريخ ٣/ ٤٦٢.

يوم قال النبيُّ من كنت مو لاه فهذا مولاه خطبٌ جليل
إنّما قاله النبيُّ على الأمّـ ـة حتمٌ ما فيه قال وقيل [١]

٢ـ الكميت بن زيد (٦٠ـ١٢٦هـ):

شاعر مقدم، عالم بلغات العرب، خبير بأيّامها، و من شعراء مضر. كان معروفاً بالتشيّع لبني هاشم، مشهوراً بذلك، وقد حظى بتقدير أئمّة أهل البيت لاجهاره بالحق، ولجهاده في سبيله، وهاشمياته المقدّرة بـ ٥٧٨ بيتاً خلّدت ذكراه في التاريخ وهي مشتملة على ميمية وبائية ورائية وغيرها.

وإليك أبياتاً من عينيّته:

ويوم الدوح دوح غدير خم أبان له الولاية لو أُطيعا
ولكن الرجال تبايعوها فلم أر مثلها خطراً مبيعا

إلى أن قال:

أضاعوا أمر قائدهم فضلّوا وأقومهم لدى الحدثان ريعا
تناسوا حقّه وبغوا عليه بلا ترة وكان لهم قريعا
فقل لبني أُمية حيث حلّوا وإن خفت المهنّد والقطيعا

ولقد طبع ديوان الكميت في غير مرّة وشرحه الأُستاذ محمد شاكر الخياط والأُستاذ الرافعي [٢].

١ـ المفيد: الفصول المختارة ٨٧، الكراجكي: كنز الفوائد ٢٣٤، سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص ٢٠.

٢ـ إقرأ حياة الكميت في الغدير ٢/ ١٨٠ـ٢١٢.

٣ـ السيد الحميري (المتوفّى ١٧٣هـ):

أبو هاشم إسماعيل بن محمّد الملّقب بالسيد، الشاعر المعروف، ومن المكثرين المجيدين، ومن الثلاثة الذين عدّوا أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام وهم: «السيّد» و «بشار» و «أبو العتاهية»، وكان السيّد الحميري متفانياً في حبّ العترة الطاهرة فلم يكن يرى لمناوئيهم حرمة وقدراً، وكان يشدّد النكير عليهم في كلّ موقف ويهجوهم بألسنة حداد في كل حول وطول.

ومن قصائده المعروفة عينيّته، وقد شرحها عدة من الأدباء ومستهلّها:

لأُمّ عمرو باللوى مربَع   طامسة أعلامها بلقعُ
تروع عنها الطير وحشيّة   والوحشُ من خيفته تفزعُ [1]

٤ـ دعبل الخزاعي (المتوفّى ٢٤٦هـ):

أبو علي دعبل بن علي الخزاعي، من بيت علم وفضل وأدب، يرجع نسبه إلى بديل بن ورقاء الخزاعي الذي دعا له النبيّ ﷺ.

قال النجاشي: أبو علي الشاعر المشهور في أصحابنا، صنّف كتاب طبقات الشعراء، ومن أراد التوغّل في حياته وسيرته فليقرأ النواحي الأربعة من حياته:

١ـ تهالكه في ولائه لأهل البيت ـ عليهم السلام ـ.

١ـ إقرأ ترجمة السيد في الغدير ٢/ ٢١٣ـ ٢٨٩.

٢ـ نبوغه في الشعر والأدب والتاريخ وتآليفه.

٣ـ روايته للحديث والرواة عنه ومن يروي عنهم.

٤ـ سيرته مع الخلفاء ثم ملحه ونوادره وثمّ ولادته ووفاته [1].

وإليك نزراً من تائيته المعروفة:

تجاوبن بالأرنان والزفراتِ ... نوائح عجم اللفظ والنطقات

إلى أن قال:

هم نقضوا عهد الكتاب و ... فرضه ومحكمه بالزور والشبهات

ولم تك إلاّ محنة قد كشفتهم ... بدعوى ضلال من هن وهنّات

تراث بلا قربى وملك بلا هوى ... وحكم بلا شورى بغير هداة

٥ـ الأمير أبو فراس الحمداني (٣٢٠ـ٣٥٧ هـ):

أبو الفراس الحرث بن أبي العلاء، قال عنه الثعالبي: كان فرد دهره، وشمس عصره، أدباً وفضلاً وكرماً ونبلاً ومجداً وبلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة، وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة، والسهولة والجزالة، والعذوبة والفخامة، والحلاوة والمتانة [2].

وتبعه في اطرائه والثناء عليه ابن عساكر.

١ـ لاحظ حياته في الغدير ٢/ ٣٦٩ـ٣٨٦.

٢ـ يتيمة الدهر ٢٧٠.

ومن قصائده المعروفة ميميته التي مستهلّها:

الحق مهتضم والدين مخترم   وفيء آل رسول الله مقتسم
والناس عندك لا ناس فيحفظهم   سوم الرعاة ولا شاءٌ ولا نعم

إلى أن قال:

يا للرجال أما لله منتصر   من الطغاة أما لله منتقم
بنو علي رعايا في ديارهم   والأمر تملكه النسوان والخدم

إلى أن قال:

ابلغ لديك بني العباس مالكةً   لا يدّعوا ملكها ملاكها العجم
أيّ المفاخر أمست في منازلكم   وغيركم آمر فيها ومحتكم
أنّى يزيدكم في مفخر علم   وفي الخلاف عليكم يخفق العلم
يا باعة الخمر كُفّوا عن مفاخركم   لمعشرٍ بَيْعهم يوم الهياج دم [١]

ويطيب لي في هذا المقام أن أُشير إلى أسماء بعض من أنجبتهم مدرسة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ في حلبة الشعر والأدب في القرن الرابع والخامس، من أُناس معدودين في القمّة، يمكن للقارئ الكريم أن يجد الشيء الكثير عن حياتهم في دواوينهم، أو في كتب الأدب المختلفة.

---

١ ـ الغدير: ٣/ ٣٩٩ـ٤٠١.

١ـ ابن الحجاج البغدادي (المتوفّى ٣٢١ هـ) صاحب القصيدة المعروفة:

يا صاحب القبّة البيضاء في النجف

من زار قبرك واستشفى لديك شفى

٢ـ الشريف الرضي (٣٥٩ـ ٤٠٦هـ) الغني عن كل تعريف وبيان.

٣ـ الشريف المرتضى (٣٥٥ـ ٤٣٦هـ) وهو كأخيه أشهر من أن يعرّف.

٤ـ مهيار الديلمي (المتوفّى ٤٤٨هـ) الذي يُعد في الرعيل الأوّل من شعراء القرن الرابع وله غديريات كثيرة منها:

هل بعد مفترق الأظعان مجتمع

أم هل زمان بهم قد فات يرتجع

هذا عرض موجز لبعض الشعراء البارزين من الشيعة، وفيه كفاية لمن أراد الإجمال، و أمّا من أراد التوسّع فليرجع إلى الكتب التالية:

١ـ الأدب في ظلّ التشيّع: للشيخ عبد الله نعمة.

٢ـ تأسيس الشيعة: للسيّد حسن الصدر، الفصل السادس.

٣ـ الغدير: للعلاّمة الأميني بأجزائه الأحد عشر.

٦ـ قدماء الشيعة وعلم التفسير:

إنّ القرآن هو المصدر الرئيسي للمسلمين في مجالي العقيدة والشريعة، وهو المعجزة الخالدة للنبيّ الأكرم ﷺ، وقد قام المسلمون بأروع الخدمات لهذا الكتاب الإلهي على وجه لا تجد له مثيلاً بين أصحاب الشرائع السابقة، حتى أسّسوا لفهم كتابهم علوماً قد بقي في ظلّها القرآن مفهوماً للأجيال، كما قاموا بتفسيره وتبيين مقاصده بصور شتى، لا يسع المقام لذكرها. فأدّوا واجبهم تجاه كتاب الله العزيز ــ شكر الله مساعيهم ــ من غير فرق بين الشيعة والسنّة.

إنّ مدرسة الشيعة منذ أن ارتحل النبيّ الأكرم ﷺ إلى يومنا هذا، أنتجت تفاسيراً على أصعدة مختلفة، وخدمت الذكر الحكيم بصور شتّى، فأتى بوجه موجز، لما أُلّف في القرون الإسلامية الأُولى.

إنّ أئمّة أهل البيت ـ بعد الرسول الأكرم ﷺ ـ هم المفسّرون الحقيقيون للقرآن الكريم، حيث فسّروا القرآن بالعلوم التي نحلهم الرسول ﷺ بأقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم التي لا تشذّ عن قول الرسول ﷺ وفعله وحجته، ومن الظلم الفادح أن نذكر الصحابة والتابعين في عداد المفسّرين ولا نعترف بحقوق أئمّة أهل البيت وهم عديله باتفاق الجميع.

وهذا ما فعله في كتابه محمّد حسين الذهبي، جعل عليّاً ـ وهو الوصي وباب علم النبيّ ﷺ ـ في الطبقة الثالثة من حيث نقل الرواية عنه، وجعل تلميذه ابن عباس في الدرجة الأُولى [1] !! ، ولم يذكر عن بقية الأئمّة شيئاً

١ـ الذهبي: التفسير والمفسّرون ١/ ٨٩ـ٩٠.

مع كثرة ما نقل عنهم في مجال التفسير من الروايات الوافرة.

أقول: ما أن ارتحل النبيّ الأكرم ﷺ حتى عكف المسلمون على دراسة القرآن وتدبره، بيد أنّهم وجدوا أنّ لفيفاً من المسلمين كانوا عاجزين عن فهم بعض ألفاظ القرآن. والقرآن وإن نزل بلغة الحجاز إلاّ أنّه يحوي ألفاظاً غير رائجة فيها وربّما كانت رائجة بين القبائل الأُخرى، وهذا النوع من الألفاظ ما سمّوه بـ «غريب القرآن» وقد سأل ابن الأزرق ـ رأس الخوارج ـ ابن عباس عن شيء كثير من غريب القرآن وأجاب عنه مستشهداً بشعر العرب الأقحاح، وقد جمعها السيوطي في اتقانه [1].

وبما أنّ تفسير غريب القرآن كان الخطوة الأُولى لتفسيره، فقد ألّف أصحابنا في أبان التدوين كتباً في ذلك المضمار، نذكر قليلاً من كثير.

١ـ غريب القرآن، لأبان بن تغلب بن رباح البكري (المتوفّى عام ١٤١ هـ) [2].

٢ـ غريب القرآن، لمحمّد بن السائب الكلبي، من أصحاب الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ [3].

٣ـ غريب القرآن، لأبي روق، عطية بن الحارث الهمداني الكوفي التابعي، قال ابن عقدة: كان ممّن يقول بولاية أهل البيت [4].

٤ـ غريب القرآن، لعبد الرحمان بن محمّد الأزدي الكوفي، جمع فيه ما

١ـ السيوطي: الاتقان ٤/ ٥٥ـ٨٨.

٢ـ النجاشي: الرجال ١/ ٧٣ برقم ٦.

٣ـ المصدر نفسه: ١/ ٧٨ برقم ٦.

٤ـ ابن النديم: الفهرست ٥٧، النجاشي: الرجال ١/ ٧٨.

ورد في الكتب الثلاثة المتقدّمة [١].

٥ـ غـريب القرآن، للشيـخ ابن جعفر أحمد بـن محمد الطبري الآملي الوزير الشيعي (المتوفـى عام ٣١٣هـ) [٢].

وقـد توالى التـأليف حـول غريـب القرآن في القـرون الماضية، فبلـغ العشرات، وكان أخيرها ـ لا آخرها ـ مـا ألّفه السيد محمّد مهدي الخرسان في جزئين [٣].

مجازات القرآن:

إذا كان الهدف من هذه الكتب بيان معـاني مفردات القرآن وألفاظه، فإنّ في الجانب الآخر منه لون آخر من التفسير يهدف لبيان مقاصده ومعانيه إذا كانت الآية مشتملة على المجاز والكناية والاستعارة. إليك أخي القارئ الكريم نماذج قليلة ممّا أُلّف في ذلك المجال بيد أعلام الشيعة:

١ـ مجاز القـرآن، لشيخ النحاة الفرّاء يحيـى بن زياد الكـوفي المتوفـى عام ٢٠٧ هـ، وقد طبع أخيراً في جزئين [٤].

٢ـ مجاز القرآن، لمحمّد بن جعفر بـن محمّد، أبو الفتح الهمداني. قال النجاشي: له كتاب «ذكر المجاز من القرآن» [٥].

١ـ النجاشي: الرجال ١/ ٧٨.

٢ـ ابن النديم: الفهرست ٥٨.

٣ـ الطهراني آغا بزرك: الذريعة ١٦/ ٥٠ برقم ٢٠٨.

٤ـ المصدر نفسه: ١٩/ ٣٥١ برقم ١٥٦٧.

٥ـ النجاشي: الرجال ٢/ ٣١٩ برقم ١٠٥٤.

٣ــ مجازات القرآن، للشريف الرضي المسمّى بتلخيص البيان في مجازات القرآن، وهو أحسن ما أُلّف في هذا الباب وهو مطبوع.

التفسير بصور متنوّعة:

وهناك لون آخر من التفسير، يعمد فيه المفسّر إلى توضيح قسم من الآيات تجمعها صلة خاصّة كالمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، وآيات الأحكام، وقصص الأنبياء، وأمثال القرآن، وأقسامه، والآيات الواردة في مغازي النبيّ ﷺ، والنازلة في حق العترة الطاهرة ـ عليهم السلام ـ إلى غير ذلك من الموضوعات التي لا تعم جميع آيات القرآن، بل تختص بموضوع واحد.

وكان علماء الشيعة قد شاركوا غيرهم من علماء المسلمين في هذا الجانب الحيوي والمهم، ورفدوا المكتبة الإسلامية بهذه الأنواع من التفاسير، ومن أراد أن يقف عليها فعليه أن يرجع إلى المعاجم، وأخص بالذكر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة.

الشيعة والتفسير الموضوعي:

إنّ نزول القرآن نجوماً، وتوزّع الآيات الراجعة إلى موضوع واحد في سور متعدّدة، يطلب لنفسه نمطاً آخر، غير النمط المعروف بالتفسير الترتيبي، فإنّ النمط الثاني يتّجه إلى تفسير القرآن سورة بعد سورة، وآية بعد آية، وأمّا النمط الأوّل فيحاول فيه المفسّر إيراد الآيات الواردة في موضوع خاص، في مجال البحث، وتفسير الجميع جملة واحدة وفي محل واحد.

فيستمدّ المفسّر من المعاجم المؤلّفة حول القرآن، ومن غيرها، في

الوقوف على الآيات الواردة في جانب معيّن، مثلاً في خلق السماء والأرض، أو الإنسان، أو أفعاله وحياته الأُخروية، فيفسّر المجموع مرّة واحدة، ويرفع إبهام آية بآية أُخرى، ويخرج بنتيجة واحدة، وهذا النوع من التفسير وإن لم يهتم به القدماء واكتفوا منه بتفسير بعض الموضوعات كآيات الأحكام، والناسخ والمنسوخ، إلاّ أنّ المتأخّرين منهم بذلوا جهدهم في طريقه، ولعلّ العلاّمة المجلسي (١٠٣٧ـ ١١١٠هـ) كان أوّل من فتح هذا الباب على مصراعيه في موسوعته الموسومة بـ «بحار الأنوار»، حيث أورد في أوّل كل باب من أبواب كتابه المتخصصة جملة الآيات الواردة حول موضوع الباب، ثمّ لجأ إلى تفسيرها إجمالاً ، ثمّ أورد ما جمعه من الأحاديث التي لها صلة بالباب.

وقد قام كاتب هذه السطور بتفسير الآيات النازلة حول العقائد والمعارف وخرج منه حتى الآن سبعة أجزاء وانتشر باسم «مفاهيم القرآن» نسأل الله تعالى التوفيق لإتمامه.

الشيعة والتفسير الترتيبي:

قد تعرّفت على أنّ المنهج الراسخ بين القدماء وأكثر المتأخّرين هو التفسير الترتيبي، وقد قام فضلاء الشيعة من صحابة الإمام علي والتابعين له إلى العصر الحاضر بهذا النمط من التفسير، إمّا بتفسير جميع سوره، أو بعضها، والغالب على التفاسير المعروفة في القرون الثلاثة الأُولى، هو التفسير بالأثر، ولكن انقلب النمط إلى التفسير العلمي والتحليلي من أواخر القرن الرابع. فأوّل من ألّف من الشيعة على هذا المنهاج هو الشريف الرضي

(٣٥٩ـ٤٠٦هـ) مـؤلّف كتاب «حقائق التأويـل» في عشرين جزءاً[١]، ثمّ جاء بعده أخوه الشريـف المرتضى فسلك مسلكه في أماليه المعـروفة بالدرر والغرر. ثمّ تـوالى التأليف على هذا المنهاج مـن عصر الشيخ الأكبر الطوسي (٣٨٥ـ ٤٦٠هـ) مؤلّف «التبيان في تفسير القرآن» في عشرة أجزاء كبار، إلى عصرنا هذا.

فقد قامت الشيعة في كل قرن بتأليف عشرات التفاسير وفق أساليب متنـوّعـة، ولغـات متعـدّدة. لا يحصيها إلاّ المتـوغّـل في المعـاجـم وبطـون المكتبات.

ولقد فهـرسنا على وجه موجـز أسماء مشاهير المفسّـرين مـن الشيعة وأعلامهم في ١٤ قرناً، وفصلنا كل قـرن عن القرن الآخر، واكتفينا با لمعروفين منهم، لأنّ ذكر غيرهـم عسير ومحوج إلى تأليف حافل. فبلـغ عددهم ١٢٢ مفسّـراً. ومـن أراد الالمام بذلـك فعليه الـرجوع إلى المقـدمة التـي قدّمنـاها لتفسير التبيان للشيخ الطوسي، ولأجل ذلك نطوي الكلام في المقام.

٧ـ قدماء الشيعة وعلم الحديث:

إنّ السنّة هـي المصدر الثاني للثقـافة الإسلاميـة بجميع مجالاتها، ولم يكن شيء أوجب بعـد كتابة القرآن وتـدوينه وصيانته مـن نقص أو زيادة، من كتابة حـديث الرسول ﷺ وتدوينه وصيـانته من الدس والـدجل، وقد أمر به الـرسول الأكرم ﷺ غير مـرّة، فقد روى الإمـام أحمد عـن عمر بـن

١ـ وللأسف لم توجد منه نسخـة كاملة في عصرنا الحاضر إلاّ الجزء الخامس وهو يكشف عن عظمة هذا السفر ويدل على جلالة المؤلّف.

شعيب عن أبيه عن جدّه أنّه قال للنبيّ ﷺ : يا رسول الله أكتب كلّ ما أسمع منك؟ قال: «نعم». قلت: في الرضا والسخط؟ قال ﷺ : «نعم، فإنّه لا ينبغي لي أن أقول في ذلك إلاّ حقّاً»[١].

إنّ الله سبحانه أمر بكتابة الدِّين حفظاً له، واحتياطاً عليه، واشفاقاً من دخول الريب فيه، فالعلم الذي حفظه أصعب من حفظ الدِّين أحرى بأن يكتب ويحفظ من دخول الريب والشك فيه[٢].

فإذا كان النبيّ ﷺ لا ينطق عن الهوى وإنّما ينطق عن الوحي الذي يوحى إليه[٣] فيجب حفظ أقواله وأفعاله أسوة بكتاب الله المجيد، حتى لا يبقى المسلم في حيرة من أمره، ويستغني عن المقاييس الظنّية والاستنباطات الذوقية.

وبالرغم من وضوح الأمر وأهمتيه القصوى إلاّ أنّ الخلافة الإسلامية باجتهاداتها حالت دون ذلك، بل وحاسبت عليه حتى أنّ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب قال لأبي ذر وعبد الله بن مسعود وأبي الدرداء: « ما هذا الحديث الذي تفشون عن محمّد؟»[٤].

ولقد أضحى عمل الخليفة سنّة فاتّبعه عثمان ومشى على خطاه

١ـ مسند أحمد ٢/ ٢٠٧.

٢ـ الخطيب البغدادي: تقييد العلم ٧٠.

٣ـ اقتباس عن قوله سبحانه: ﴿ما ضَلَّ صاحِبُكُم وما غوى * وما ينطِقُ عن الهوى * إنْ هو إلاّ وحيٌ يُوحى﴾ النجم/ ٢ـ٤.

٤ـ كنز العمال ١٠/ ٢٩٣ برقم ٢٩٤٧٩. وفيه: ما هذه الأحاديث التي قد أفشيتم عن رسول الله في الافاق.

معاويـة، فأصبح تـرك كتابة الحديـث سنّة إسلاميـة، وعدّت الكتابـة شيئاً منكراً مخالفاً لها.

إنّ الرزيّـة الكبرى هي المنع عـن التحدّث بحديـث رسول الله ﷺ وكتابته وتدوينه، وفسح المجال في نفـس الوقت للرهبان والأحبار للتحدّث بما عندهم من صحيح وباطل، ولقد أذن عمر لتميم الداري النصراني الذي استسلم في عام تسعة من الهجرة أن يقص [١].

ولما تسنّم عمر بن عبد العزيـز منصب الخلافة، أدرك ضرورة تدوين الحديث، فكتـب إلى أبي بكر بن حزم في المدينـة، أن يقوم بتدويـن الحديث قائلاً: إنّ العلم لا يهلك حتى يكون سرّا [٢].

ومـع ذلك فلـم يقدر ابـن حـزم على القيام بما أمـر به الخليفـة، لأنّ رواسب الحظـر السابق المؤكـد من قبـل الخلفاء حالـت دون أُمنيته، إلى أن زالـت دولة الأمـويين وجـاءت دولة العبـاسيين، فقـام المسلمـون بتدويـن الحديث في عصر أبي جعفر المنصور سنة ١٤٣هـ وأنت تعلم أخي القارئ الكريم انّ الخسارة التي لحقت بالتراث الإسـلامي من منع تدوين السنّة لا تجبر بتدوينه بعد مضي قرن ونيّف، وبعـد موت الصحابة وكثير من التابعين الذين رأوا النـور المحمدي وسمعوا منه الحديث، ولم يحدثـوا ما سمعوه إلاّ سرّاً ومن ظهر القلب إلى مثله.

أضف إلى ذلك أنّ الأحبار والرهبان والمأجورين للبلاط الأموي نشروا كلّ كذب وافتراء بين المسلمين.

١ـ كنز العمال ١٠/ ٢٨١.

٢ـ صحيح البخاري١/ ٢٧.

اهتمام الشيعة بتدوين الحديث:

قام الإمـام أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ بتأليـف عدّة كتـب في زمان النبيّ ﷺ، فقد أملى رسول الله كثيراً من الأحكام عليـه وكتبها الإمام واشتهر بكتـاب علي، وقـد روى عنـه البخـاري في صحيحـه في بـاب «كتـابـة الحديث»[١] وباب «أثـم من تبرأ من مـواليه»[٢] وتبعه ـ عليه السلام ـ ثلّة مـن الصحابة الذين كانوا شيعة له، وإليك أسماء من اهتمّ بتدوين الآثار وما له صلة بالدين، وإن لم يكن حديث الرسول.

١ـ قام أبو رافع صحابي الرسول ﷺ بتدوين كتاب السنن والأحكام والقضايا[٣].

٢ـ وقـام الصحـابي الكبير سلمان الفـارسي: المتوفـى سنـة ٣٤هـ بتأليـف كتاب حـديث الجاثليـق الرومي الـذي بعثه ملـك الروم بعـد وفاة الرسول ﷺ.

قال الشيخ الطـوسي: روى سلمان حديث الجاثليق الـذي بعثه ملك الروم بعد النبيّ ﷺ[٤].

٣ـ وألّف الصحـابي الورع أبو ذر الغفاري المتوفّى سنـة ٣٢هـ كتاب الخطبة التي يشرح فيها الأمور بعد رسول الله ﷺ[٥].

١ـ صحيح البخاري ١/ ٢٧ كتاب العلم.

٢ـ المصدر نفسه: ٨ كتاب الفرائض الباب ٢٠ ص ١٥٤.

٣ـ النجاشي: الرجال ١/ ٦٤ برقم ١.

٤ـ الطوسي: الفهرست ٨.

٥ـ المصدر نفسه: ٥٤.

هذا ما يرجع إلى الصحابة من الشيعة، وأمّا الشيعةمن غير الصحابة أعني التابعين وتابعي التابعين منهم، فقد قام لفيف منهم بتدوين السنّة إلى عصر الغيبة الكبرى، وقد تكفّلت بذكرهم و ذكر تآليفهم معاجم الرجال قديماً وحديثاً، و إليك عرضاً موجزاً من محدّثي الشيعة ومؤلّفيهم في القرن الأوّل وبداية القرن الثاني.

الطبقة الأُولى:

١ـ الأصبغ بن نباتة المجاشعي، كان من خاصة أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ روى عنه ـ عليه السلام ـ عهد الأشتر، ووصيته إلى ابنه محمّد [١].

٢ـ عبيد الله بن أبي رافع، المدني، مولى النبيّ ﷺ، كان كاتب أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ له كتاب قضايا أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وتسمية من شهد مع أمير المؤمنين الجمل وصفّين والنهروان [٢].

٣ـ ربيعة بن سميع، له كتاب في زكاة النعم عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ [٣].

٤ـ سليم بن قيس الهلالي، أبو صادق، له كتاب مطبوع باسم: سليم ابن قيس.

٥ـ علي بن أبي رافع، قال النجاشي عنه: تابعي من خيار الشيعة، كانت له صحبة من أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ، وكان كاتباً له وحفظ كثيراً،

١ـ النجاشي: الرجال ١/ ٧٠ برقم ٤.

٢ـ الطوسي: الفهرست ١٠٧.

٣ـ النجاشي: الرجال ١/ ٦٧ برقم ٢.

وجمع كتاباً في فنون من الفقه: الوضوء، والصلاة، وسائر الأبواب [١].

٦ـ عبيد الله بن الحر الجعفي، الفارس، الفاتك، الشاعر، له نسخة يرويها عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ [٢].

٧ـ زيد بن وهب الجهني، له كتاب خطب أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ على المنابر في الجمع والأعياد وغيرها [٣].

الطبقة الثانية:

١ـ الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين ـ عليهما السلام ـ ، له الصحيفة الكاملة، المشتهرة بزبور آل محمّد ـ عليهم السلام ـ .

٢ـ جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي، أبو عبد الله، المتوفّى سنة ١٢٨ هـ له كتب [٤].

٣ـ لوط بن يحيى بن سعيد، شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة، له كتب كثيرة، أوردها الشيخ في رجاله وعدّه في أصحاب الحسن والصادق ـ عليهما السلام ـ [٥].

٤ـ جارود بن منذر، الثقة، أورده الشيخ في أصحاب الحسن والباقر والصادق ـ عليهم السلام ـ ، له كتب [٦].

١ـ النجاشي: الرجال ١/ ٦٥ برقم ١.

٢ـ المصدر نفسه: ١/ ٧١ برقم ٥.

٣ـ الطوسي: الفهرست ٧٢.

٤ـ النجاشي: الرجال ١/ ٣١٣ برقم ٣٣٠.

٥ـ الطوسي: الرجال ٢٧٩ من أصحاب الصادق ـ عليه السلام ـ ولاحظ تعليقة المحقّق.

٦ـ المصدر نفسه: ١١٢ في أصحاب الباقر ـ عليه السلام ـ.

الطبقة الثالثة:

وهم من أصحاب السجاد والباقر -عليهما السلام-:

١- برد الاسكاف، من أصحاب السجاد والصادقين -عليهم السلام-، له كتاب [١].

٢- ثابت بن دينار، أبو حمزة الثمالي الأزدي، الثقة، المتوفّى سنة ١٥٠هـ، روى عنهم -عليهم السلام-، له كتاب، وله النوادر والزهد، وله تفسير القرآن [٢].

٣- ثابت بن هرمز، الفارسي، أبو المقدم العجلي، مولاهم الكوفي، روى نسخة عن علي بن الحسين -عليهم السلام- [٣].

٤- بسّام بن عبد الله، الصيرفي، مولى بني أسد، أبو عبد الله، روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله -عليهما السلام-، له كتاب [٤].

٥- محمّد بن قيس البجلي، له كتاب قضايا أمير المؤمنين -عليه السلام- [٥].

٦- حجر بن زائدة الحضرمي، روى عن الباقر والصادق -عليهما السلام-، له كتاب [٦].

١- النجاشي: الرجال ١/ ٢٨٤ برقم ٢٨٩.
٢- المصدر نفسه: ١/ ٢٨٩ برقم ٢٩٤.
٣- المصدر نفسه: ١/ ٢٩٢ برقم ٢٩٦.
٤- المصدر نفسه: ١/ ٢٨٢ برقم ٢٨٦.
٥- الطوسي: الفهرست ١٣١.
٦- النجاشي: الرجال ١/ ٣٤٧ برقم ٣٨٢.

٧ـ زكريا بن عبد الله الفياض، له كتاب [١].

٨ـ ثوير بن أبي فاختة «أبو جهم الكوفي»، واسم أبي فاختة: سعيد ابن علاقة [٢].

٩ـ الحسين بن ثور بن أبي فاختة، سعيد بن حمران، له كتاب نوادر [٣].

١٠ـ عبد المؤمن بن القاسم بن قيس الأنصاري، المتوفّى سنة ١٤٧ هـ، عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب السجّاد والصادقين ـ عليهم السلام ـ، له كتاب [٤].

ولقد خصّص أبو عمرو الكشي باباً للمحدّثين المتقدّمين من الشيعة وجعله في صدر رجاله، وتبعه النجاشي في رجاله فخصّ الطبقة الأُولى بباب، ثمّ أورد أسماء الرواة على حسب الحروف الهجائية.

ولقد أجاد الشيخ الطوسي في التعرّف على طبقات الشيعة بعد رسول الله ﷺ إلى عصره، فذكر الأئمّة الإثنى عشر، وذكر أصحاب كل إمام وفق الترتيب الزمني، ثمّ ذكر باباً آخر باسم من لم يرهم ولكن روى عنهم بالواسطة.

وأحسن كتاب أُلّف في هذا المجال هو ما ألّفه أُستاذنا الجليل السيد النحرير المحقّق البروجردي ـ رحمه الله ـ الذي أخرج رجال الشيعة في ٣٤ طبقة، من عصر الصحابة إلى زمانه (١٢٩٢ ـ ١٣٨٠ هـ) فهذا الكتاب

١ـ النجاشي: الرجال ١/ ٣٩١ برقم ٤٥٢.

٢ـ المصدر نفسه: ١/ ٢٩٥ برقم ٣٠١.

٣ـ المصدر نفسه: ١/ ١٦٦ برقم ١٢٤.

٤ـ المصدر نفسه: ٢/ ١٦٨ برقم ٦٥٣.

يكشف عن سبق الشيعة في نظم الحديث وتدوينه، وأنّهم لم يقيموا لمنع الخلفاء وزناً ولا قيمة. وبذلك حفظوا نصوص النبيّ الأكرم ﷺ وأهل بيته وقدموها إلى المجتمع الإسلامي، فعلى جميع علماء المسلمين أن يتمسّكوا بهذا الحبل الذي هو أحد الثقلين.

هذ عرض موجز لمحدّثي الشيعة من عصر الإمام أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ إلى عصر السجّاد والباقر ـ عليهما السلام ـ. وأمّا الطبقات الأُخرى فيأتي الكلام في فصل قدماء الشيعة والفقه لأنّهم تجاوزوا عن التحديث إلى درجة الاجتهاد.

٨ـ قدماء الشيعة والفقه الإسلامي:

إنّ الفقه الشيعي هو الشجرة الطيّبة الراسخة الجذور، المتّصلة الأُسس بالنبّوة، والتي امتازت بالسعة، والشمولية، والعمق، والدقّة، والقدرة على مسايرة العصور المختلفة، والمستجدّات المتلاحقة من دون أن تتخطّى الحدود المرسومة في الكتاب والسنّة.

إنّ الفقه الإمامي يعتمد في الدرجة الأُولى على القرآن الكريم، ثمّ على السنّة المحمدية المنقولة عن النبيّ ﷺ عن طريق العترة الطاهرة ـ عليهم السلام ـ أو الثقات من أصحابهم والتابعين لهم باحسان.

وكما يعتمد الفقه الشيعي على الكتاب والسنّة، فإنّه كذلك يتّخذ من العقل مصدراً في المجال الذي له الحق في ابداء الرأي، كأبواب الملازمات العقلية، أو قبح التكليف بلا بيان، أو لزوم البراءة اليقينية عند الاشتغال اليقيني.

ولا يكتفي بذلك، بل يستفيد من الاجماع الكاشف عن وجود النص في المسألة أو موافقة الإمام المعصوم مع المجمعين في عصر الحضور.

إنّ الشيعة الإمامية قدّمت في ظلّ هذه الأُسس الأربعة فقهاً يتناسب مع المستجدّات، جامعاً لما تحتاج إليه الأُمّة، ولم يقفل باب الاجتهاد، منذ رحلة النبيّ ﷺ إلى يومنا هذا، بل فتح بابه طيلة القرون، فأنتج عبر العصور فقهاءً عظاماً، وموسوعات كبيرة ، لم يشهد التاريخ لها ولهم مثيلاً، و إليك عرضاً موجزاً لمشاهير فقهائهم مع الايعاز إلى بعض كتبهم في القرن الثاني والثالث:

فقهاء الشيعة في القرن الثاني:

تخرّجت من مدرسة أهل البيت وعلى أيدي أئمة الهدى ـ عليهم السلام ـ عدّة من الفقهاء العظام لا يستهان بعددهم، فبلغوا الذروة في الاجتهاد، كزرارة بن أعين، ومحمّد بن مسلم، وبريد بن معاوية، والفضيل بن يسار وكلّهم من أفاضل خريجي مدرسة أبي جعفر الباقر وولده الصادق ـ عليهما السلام ـ فأجمعت الطائفة على تصديق هؤلاء، وانقادت لهم في الفقه والفقاهة.

ويليهم في الفضل لفيف آخر، هم أحداث خريجي مدرسة أبي عبد الله الصادق ـ عليه السلام ـ، أمثال: جميل بن دراج، و عبد الله بن مسكان، وعبد الله بن بكير، وحمّاد بن عثمان، وحمّاد بن عيسى، وأبان بن عثمان.

وهناك ثلة أُخرى يعدّون من تلاميذ مدرسة الإمام موسىٰ الكاظم وابنه أبي الحسن الرضا ـ عليهما السلام ـ منهم: يونس بن عبد الرحمن، ومحمّد بن أبي عمير، وعبد الله بن المغيرة، والحسن بن محبوب، والحسين بن علي بن

فضال، وفضالة بن أيوب [1].

وأكثر هؤلاء من فقهاء القرن الثاني وأوائل القرن الثالث.

هؤلاء أعلام الشيعة في الفقه والحديث في القرن الثاني، وكلّهم خرّيجوا مدرسة أهل البيت -عليهم السلام- ولقد خلّفوا آثاراً علمية باسم الأصل، والكتاب، والنوادر، والجامع، والمسائل، وعناوين أُخرى.

أصحاب الجوامع الفقهية في القرن الثالث:

لقد تخرّج من مدرسة أهل البيت -عليهم السلام- جملة كبيرة من أعاظم الفقهاء أوقفوا علمهم في خدمة هذا الدين الحنيف، فشمّروا عن سواعدهم، وسخّروا أنفسهم قدر ما مكّنهم الله تعالى عليه، فخلّفوا جوامع فقهية مهمّة كانت ولا زالت خير زاد للمسلمين، ومن هؤلاء الأعلام:

١- يونس بن عبد الرحمن، ولقد وصفه ابن النديم في فهرسته بعلاّمة زمانه، له جوامع الآثار، والجامع الكبير، وكتاب الشرائع.

٢- صفوان بن يحيى البجلي، الذي كان أوثق أهل زمانه، صنّف ٣٠ كتاباً.

٣- ٤- الحسن والحسين ابنا سعيد بن حماد الأهوازي، صنّفا ثلاثين كتاباً.

٥- أحمد بن محمد بن خالد البرقي، المتوفّى سنة ٢٧٤ هـ صاحب

١- أبو عمرو الكشي: الرجال ٢٠٦، ٣٢٢، ٤٦٦، وراجع رجال النجاشي في ترجمتهم وذكر آثارهم ومنزلتهم في الفقه.

كتاب المحاسن وغيره.

٦ـ محمّد بن أحمد بن يحيى الأشعري القمّي، المتوفّى سنة ٢٩٣هـ صاحب نوادر الحكمة وكتاب الجامع المعروف.

٧ـ أحمد بن محمّد، أبي نصر البزنطي، المتوفّى سنة ٢٢١هـ، صاحب الجامع المعروف.

فقهاء الشيعة في القرن الرابع:

هؤلاء هم فقهاء الشيعة في القرن الثالث وتليهم عدة أُخرى في القرن الرابع نذكر أسماءهم على وجه الاجمال:

١ـ الحسن بن علي بن أبي عقيل، شيخ الشيعة وفقيهها، صاحب كتاب المتمسك بحبل آل الرسول، المعاصر للكليني.

٢ـ علي بن الحسين بن بابويه، المتوفّى ٣٢٩ هـ، صاحب كتاب الشرائع.

٣ـ محمّد بن الحسن بن الوليد القمي، شيخ القميين وفقيههم ومتقدّمهم، مات سنة ٣٤٣ هـ، ولقد بلغ في الوثاقة والدقة على حد يسكن إليه الشيخ الصدوق في تصحيحاته وتضعيفاته.

٤ـ جعفر بن محمّد بن قولويه، أُستاذ الشيخ الصدوق، و مؤلّف كامل الزيارات، يقول النجاشي عنه: إنّه من ثقات أصحابنا وأجلاّئهم في الفقه والحديث.

٥ـ محمّد بن علي بن الحسين الصدوق (٣٠٦ ـ ٣٨١ هـ) مؤلّف من

لا يحضره الفقيه والمقنع والهداية.

٦ـ محمّد بن أحمد بن الجنيد المعروف بالإسكافي، المتوفّى سنة ٣٨٥هـ.

قال عنه النجاشي: وجه في أصحابنا، ثقة جليل القدر، صنّف فأكثر، ثمّ ذكر فهرس كتبه ومنها كتاب تهذيب الشيعة لأحكام الشريعة، وكتاب الأحمدي للفقه المحمّدي.

مشاهير الفقهاء في القرن الخامس:

وفي القرن الخامس نبغ فقهاء كبار، ازدان الفقه الشيعي بل الإسلامي بأسمائهم وآرائهم، ومنهم: الشيخ المفيد (٣٣٦ـ٤١٣هـ) والسيد المرتضى (٣٥٥ـ٤٣٦هـ) والشيخ الكراجكي (٤٤٩هـ) والشيخ الطوسي (٣٨٥ـ٤٦٠هـ) وسلار الديلمي مؤلف المراسم، وابن البراج (٤٠١ ـ ٤٨٩هـ) مؤلف المهذّب، وغيرهم من الذين ملأت أسماؤهم كتب التراجم والرجال.

ومن أراد الوقوف على حياتهم وكتبهم فعليه بالرجوع إلى الموسوعات الرجالية، وأخص بالذكر كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة.

هذا عرض موجز لمشاركة الشيعة في بناء الحضارة الإسلامية على المستوى الفقهي. ويشهد الله أنّ علماء الشيعة قاموا بهذه الجهود في ظروف قاسية ورهيبة، وكانت الحكومات الظالمة ومرتزقتها لا ينفكون عن مطاردتهم وايداعهم في السجون وعرضهم على السيف، ومع ذلك نرى هذا الإنتاج العلمي الهائل في مجال الفقه. والذي لو تأمل فيه علماء المسلمين بفرقهم المختلفة، وتجنّبوا أهواء التعصب، لأقرُّوا بلا ريب بما فيه من سعة الفكر،

وعمق النظر، وغزارة الانتاج.

هـذا هـو الشيخ الطـوسي الذي ألّـف المبسـوط في الفقـه المقـارن (في ٨ أجزاء) في زمـن كانـت الفتـن الطـائفيـة على أوجها، والشيعـة هـم الضحيـة في هذه المخـاضات العسرة، والتـي امتدت ألسنتهـا نحو الشيـخ الطـوسي نفسه، فـأُحـرقت داره، ومكتبتـه في كـرخ بغـداد، فالتجـأ سرّاً إلى النجف الأشرف، تاركاً بلـده الذي عاش فيه قرابة نصـف قرن، وأين هؤلاء من الفقهاء الذين تنعّموا بالهدوء والاستقرار، واستقبلتهم السلطات الحاكمة بصدر رحب، وأُجيزوا مقابل أبيات معـدودة من الشعر الرخيص، أو كتيب أو رسالة صغيرة بالهبات والعطايا.

٩ـ قدماء الشيعة وعلم أُصول الفقه:

إنّ السنّة النبوية بعد القرآن الكريـم هي المصدر للتشريع، وقد سبق أنّ الخلافة ـ بعد رحلة الرسول ﷺ ـ حالت دون تحديث ما تركه بين الأُمّة، وكتابته وتدوينه. فلم تدوّن السنّة إلى عصر أبي جعفر المنصور، إلاّ صحائف غير منظّمة ولا مرتّبة، إلى أن شرع علماء الإسلام في التدوين سنة ١٤٣ هـ[1].

إنّ الحيلولة بين السنّة وتدوينها ونشرها أدّت إلى نتائج سلبية عظيمة، منها قصـور ما وصل إلى الفقهاء في ذلـك العصر صحيحاً من الـرسول ﷺ عن تلبيـة متطلّباتهم في مجال الأحكام. حتى اشتهـر عن إمام الحنفيـة أنّه لم يثبت عنـده من أحاديث الـرسول ﷺ في مجال التشريـع إلاّ سبعـة عشر حديثاً.

١ـ جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء ٢٦١.

ونحن وإن كنّا لا نوافق مع ما حُكي عن النعمان، ولكن نؤكّد على شيء آخر، وهو أنّ ما ورد في مجموع الصحاح والمسانيد والسنن الأعم من الصحيح والضعيف في مجال الأحكام الشرعية لا يتجاوز ٥٠٠ حديثاً.

قال السيد محمّد رشيد رضا: إنّ أحاديث الأحكام الأُصول لا تتجاوز ٥٠٠ حديثاً تمدّها أربعة آلاف فيها [١].

ويقول أيضاً في تفسيره: يقولون انّ مصدر القوانين الأُمّة، ونحن نقول بذلك في غير المنصوص في الكتاب والسنّة. كما قرّره الإمام الرازي والمنصوص قليل جداً [٢].

وما ذكره من قضية الامداد، يوحي إلى الموقوفات عن الصحابة، من دون أن يثبت صدورها عن النبيّ ﷺ فهذه الموقوفات تعرب عن اجتهادات الصحابة في المسألة. ومن المعلوم أنّ قول الصحابي لا يكون حجّة إلاّ إذا نسبه إلى الرسول ﷺ.

هذا وأنّ الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفّى سنة ٨٥٢هـ جمع كل ما ورد في مجال التشريع في كتاب أسماه بلوغ المرام من أدلّة الأحكام [٣] وهو كتاب صغير جداً.

إنّ افتقاد النص في مجال التشريع الذي واجه فقهاء أهل السنّة بعد

١ـ الوحي المحمّدي، الطبعة السادسة ٢١٢، نعم أنهاه ابن حجر في كتابه «بلوغ المرام» إلى ١٥٩٦ لكن كثيراً منها لا يتضمّن حكماً شرعياً وإنّما هي أحاديث أخلاقية وغيرها، فلاحظ.

٢ـ المنار ٥/ ١٨٩.

٣ـ بلوغ المرام من أدلّة الأحكام، طبعة مصر تحقيق محمّد حامد الفقيّ.

رحلة الرسول ﷺ ، هو الذي دعاهم إلى التفحص عن الحل لهذه الأزمة حتى تسد حاجاتهم الفقهية، فعكفوا على المقاييس الظنّية التي ما أنزل الله بها من سلطان، كالقياس، و الاستقراء، والاستحسان، وسد الذرائع ، وسنّة الخلفاء، أو سنّة الصحابة، أو رأي أهل المدينة، إلى غير ذلك من القواعد، أسّسوا عليها فقههم عبر قرون متمادية، وقد جاء ذلك نواة لتأسيس علم أُصول الفقه، بصورة مختصرة نمت ونضجت في الأجيال.

وأمّا الشيعة حيث إنّهم لم يفتقدوا سنّة الرسول بعد وفاته لوجود باب علم النبيّ ﷺ : علي ـ عليه السلام ـ والأئمّة المعصومين بين ظهرانيهم، فلم تكن هناك أية حاجة للعمل بتلك المقاييس، وبالتالي لم يكن هناك أي دافع للاتّجاه نحو أُصول الفقه.

نعم لما كان الإسلام ديناً عالمياً، والنبيّ ﷺ خاتم الأنبياء، والأُصول والسنن مهما كثرت لا يمكن أن تلبّي بحرفيتها حاجات المسلمين إلى يوم القيامة، انبرى أئمّة أهل البيت إلى املاء ضوابط وقواعد يرجع إليها الفقيه عند فقدان النص أو اجماله أو تعارضه إلى غير ذلك من الحالات التي يواجه بها الفقيه. وتلك الأُصول هي التي تشكّل أساساً لعلم أُصول الفقه، ولقد جمعها عدّة من الأعلام في كتاب خاص أفضلها «الفصول المهمّة في أُصول الأئمّة» للشيخ المحدّث الحر العاملي المتوفّى سنة ١١٠٤هـ.

ومن هنا فإنّا يمكننا القول إنّ وجود أئمّة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ بين ظهراني الشيعة أغنى هذه الطائفة عن الحاجة الملحة لتدوين مسائل أُصول الفقه أبان تلك الفترة الماضية، إلاّ أنّ هذا لا يعني إنّه لم ينبر لفيف من صحابة الأئمّة لدراسة بعض مسائل الفقه نظير:

١ـ هشام بن الحكم المتوفّى سنة ١٩٩ هـ، صنّف كتاب الألفاظ [١].

٢ـ يونس بن عبد الرحمن، صنّف كتاب اختلاف الحديث ومسائله. وهو مبحث تعارض الحديثين [٢].

٣ـ إسماعيل بن علي بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت (٢٣٧ـ ٣١١هـ).

قال عنه النجاشي: كان شيخ المتكلّمين من أصحابنا. وذكر مصنّفاته وعدّ منها كتاب الخصوص والعموم [٣].

وذكره ابن النديم في فهرسه، وعدّ من مصّنفاته كتاب إبطال القياس، وكتاب نقض اجتهاد الرأي على ابن الراوندي [٤].

٤ـ أبو محمّد الحسن بن موسى النوبختي، من علماء القرن الثالث، له كتاب الخصوص والعموم والخبر الواحد والعمل به [٥].

٥ـ أبو منصور صرام النيشابوري، من علماء القرن الثالث وأوائل القرن الرابع، له ابطال القياس [٦].

١ـ النجاشي: الرجال ٢/ ٣٩٨ برقم ١١٦٥ وهو مردد بين كونه كتاب لغة أو أدب، أو كونه باحثاً عن الألفاظ التي يستخدمها الفقيه في استنباط الأحكام لكون الأمر للوجوب والمرّة والتكرار، أو الفورية والتأخير إلى غير ذلك.

٢ـ الطوسي: الفهرست ٢١١ برقم ٨١٠ والنجاشي ٢/ ٤٢٠.

٣ـ النجاشي: الرجال ١/ ١٢١ برقم ٦٧.

٤ـ ابن النديم: الفهرست ٢٦٥ طبع مطبعة الاستقامة القاهرة.

٥ـ النجاشي: الرجال ١/ ١٨٠ـ ١٨١ برقم ١٤٦.

٦ـ الطوسي: الفهرست قسم الكنى ٣٨١ برقم ٥٨٨.

٦ـ محمّد بن أحمد بن داود بن علي المتوفّى عام ٣٦٨هـ قال النجاشي: شيخ هذه الطائفة وعالمها، له كتاب الحديثين المختلفين [١].

٧ـ محمّد بن أحمد بن الجنيد المتوفّى سنة ٣٨١ هـ له كتاب كشف التمويه والالتباس في إبطال القياس [٢].

والطابع السائد على هذه الكتب هو دراسة بعض المسائل الأُصولية، كحجّية خبر الواحد، أو حل مشكلة اختلاف الحديثين، أو نقد بعض الأساليب الرائجة في تلك الأجيال في استنباط الأحكام، كالقياس وغيره، ولا يصح عدّها كتباً أُصولية بالمعنى المصطلح.

نعم: يمكن عدّها مرحلة أُولى، ونواة بالنسبة إلى المرحلة الثانية.

وأمّا المرحلة الثانية فقد امتازت بالسعة والشمول، بادخال كثير من المسائل الأدبية والكلامية في علم أُصول الفقه، وأوّل من فتح هذا الباب للشيعة على مصراعيه:

معلم الأُمّة الشيخ المفيد (٣٣٦ـ٤١٣هـ) ألّف رسالة في هذا المضمار وأدرجها تلميذه العلاّمة الكراجكي في كتابه كنز الفوائد [٣].

وألّف بعده تلميذه الجليل علم الهدى المعروف بالسيد المرتضى كتابه القيم الذريعة إلى أُصول الشريعة، والذي طبع في جزئين، وقد رأيت منه نسخة مخطوطة في مدينة قزوين كتب فيها: إنّ تاريخ فراغ المؤلّف منه عام ٤٠٠ هـ.

١ـ النجاشي: الرجال ٢/ ٣٠٥ برقم ١٠٤٦.

٢ـ المصدر نفسه: ٢/ ٣٠٤ برقم ١٠٤٨.

٣ـ كنز الفوائد ٢/ ١٥ـ ٣٠ طبع بيروت.

الشيخ الطوسي: (٣٨٥ـ٤٦٠هـ) ألّف كتاب عـدّة الأُصول والذي يحتل مكانة رفيعة في هذا الميدان، حتى أنّه أُعيد طبعه لمرات متكررة.

وهكذا يمكن القـول بأنّ هذه الكتب شكّلت اللبنة الأسـاسية التي توسعت بواسطتها وانتشرت آراء الشيعة في علم الأُصول.

وأمّا في المرحلة الثـالثة من مراحـل تطور علم الأُصول لـدى الشيعة فقد شهدت بزوغ جملة واسعة من كبار العلماء توسعوا بشكل كبير في تثبيت وشرح الأبعاد الأساسية لعلم الأُصول، فكان من نتاج تلك المرحلة:

١ـ التقريب في أُصول الفقه للشيـخ أبي ليلى المعروف بسلار بن عبد العزيز الديلمي صاحب المراسم، توفّـي عام ٤٤٨هـ.

٢ـ غنية النـزوع إلى علمي الأُصول والفروع، تـأليف أبي المكارم حمزة ابن علي المعروف بابن زهرة، المتوفّـى عام ٥٨٥ هـ.

٣ـ المصـادر، تأليف الشيخ سـديد الدين الحمصي، المتوفّـى حدود سنة ٦٠٠ هـ.

هذه هي المراحل الثلاثة التي مرّ بها علـم الأُصول، وقد تلتها مراحل أُخرى إلى أن بلغت في القـرن الرابع عشر ذروتها وقمّتها، وبلـغ أعلى مراحل كمالها، ويتّضح ذلك من ملاحظة مـا أُلّف من عصر الأُستاذ الأكبر المحقّق البهبهاني (١١١٨ـ١٢٠٦هـ) إلى يـومنا، فقـد راج التحـقيق في المسـائل الأُصولية مـن عصره إلى عصر الشيخ مرتضى الأنصـاري (١٢١٢ـ١٢٨١ هـ) وعصر تلميذه الشيخ محمّد كاظـم الخراساني (١٢٥٥ـ١٣٢٩هـ) ففي هـذه الفترة: أي القرون الثـلاثة، أُلّفـت مئـات الكتب والـرسائل في ذلـك المجال، ولا أُغالي إذا قلت: أنّه لم تبلغ طائفـة من الطوائف الإسلامية تلك

الدرجة التي وصلت إليها الشيعة في علمي الفقه والأُصول من جانب كثرة الانتاج والاستيعاب ودقة النظر، شكر الله مساعيهم.

١٠ـ قدماء الشيعة وعلم المغازي والسير:

مغازي النبيّ الأكرم ﷺ جزء من تاريخ حياته وسيرته، والرسول ﷺ قدوة وأُسوة، وفعله كقوله حجّة بـلا اشكال، وقد وضع بعضهم كتباً في فقه السيرة[١] فكان على المسلمين ضبط دقيقها وجليلها، وقد قـاموا بذلك لولا أنّ الخلافة حالت دون الأُمنية، ولكن قيض الله سبحانه، رجالاً في الشيعة في ذلك المجال ضبطوا سيرة الرسول ﷺ ومغازيه:

١ـ منهم ابـن إسحاق، محمّد بن إسـحاق (المتوفّـى ١٥١هـ) عـدّه الشيخ الطوسي في رجاله[٢] من أصحاب الإمام الصادق. ولأجل انتمائه إلى بيت النبـوّة وصفه ابـن حجر في التقـريـب: «بـأنّه إمـام المغازي، صـدوق، يدلس، ورمي بالتشيّع والقدر»[٣].

وفي مختصر الذهبي: أنّه كان صدوقاً من بحور العلم.

وفي تاريخ اليافعي عن شعبة بـن الحجاج انّه قال: محمّد بن إسحاق أمير المؤمنين في الحديث[٤].

وعن الشـافعي: مـن أراد أن يتبحّر في المغازي فهـو عيال محمّـد بن

١ـ كزاد المعاد لابن القيم، وفقه السيرة للغزالي المعاصر.

٢ـ الطوسي: الرجال ٢٨١.

٣ـ ابن حجر: التقريب ٢/ ١٤٤ برقم ٤٠.

٤ـ مرآة الجنان: ١/ ٣١٣.

إسحاق [١].

لما كان المترجم شيعياً مجاهراً في ولائه لأهل البيت عمد ابن هشام (المتوفّى ٢١٢هـ) بتلخيص كتابه على أساس حذف ما لا يلائم نزعته، فحذف أكثر ما له صلة بفضائل الإمام علي وأهل بيته.

فعلى المسلمين الغيارى الباحثين عن الحقيقة التفحص في مكتبات العالم وفهارسها، حتى يعثروا على النسخة الأُم، وينشروا هذا الكنز الدفين خدمة للدين واحياءً لسيرة رسول الله ﷺ، وكان قد أعلن أحد المستشرقين أنّه قد عثر على الأصل ونشره باسم سيرة ابن إسحاق إلاّ أنّه جزء من السيرة لا كلّها.

ومن حسن الحظ إنّ سيرة ابن إسحاق وإن لم تكن موجودة بصورتها لكنّها موجودة بمادتها، فقد بثّها الطبرسي (٤٧٠ـ٥٤٨هـ) في أجزاء مجمع البيان، وابن الجوزي (٥٩٥ هـ) في المنتظم، وابن كثير في تاريخه وغيرهم. فيمكن للباحثين، استخراج مادة السيرة متفرقة عن هذه الكتب، وملخّصها المعروف بالسيرة النبوية لابن هشام.

٢ـ وكان قد سبق ابن إسحاق، عبيد الله بن أبي رافع، وهو من أصحاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ، فقد ألّف كتاباً أسماه «تسمية من شهد مع أمير المؤمنين الجمل وصفين والنهروان من الصحابة» ذكره الشيخ في الفهرست [٢]، إلاّ انّه أُلّف في مغازي الإمام علي ـ عليه السلام ـ لا في مغازي الرسول الأكرم ﷺ.

١ـ المامقاني: تنقيح المقال ٣/ ٧٩ برقم ١٠٣٨.

٢ـ الطوسي: الفهرست ٢٠٢.

٣ـ ألّف جابر الجعفي (المتوفى سنة ١٢٨هـ) كتباً في ذلك المجال: قال النجاشي: جابر عربي قديم. ثمّ ذكر نسبه وعدّ من كتبه: كتاب الجمل، وكتاب صفين، وكتاب النهروان، وكتاب مقتل أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ، وكتاب مقتل الحسين ـ عليه السلام ـ [١].

٤ـ وألّف في ذلك المجال: أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي، الذي أخذ عنه أبو عبيدة معمر بن المثنّى (١١٠ـ٢٠٩هـ) وأبو عبد الله بن القاسم بن سلام (١٥٧ـ ٢٢٤هـ) وأكثروا الحكاية عنه في أخبار الشعراء والنسب والأيام.

له كتاب حسن يجمع المبتدأ والمغازي والوفاة والردّة [٢]. وقد جمع فيه أخبار ابتداء أمر النبي ﷺ من مبعثه ومغازيه ووفاته، وأخبار يوم السقيفة وارتداد بعض القبائل.

٥ـ ومن مشاهير هذا الفن من الشيعة أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي الغامدي، شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة، روى عن جعفر بن محمّد ـ عليهما السلام ـ. وصنّف كتباً: منها كتاب المغازي، كتاب السقيفة، كتاب الردّة، كتاب فتوح الإسلام... [٣].

٦ـ ومن أعلامه نصر بن مزاحم (٢١٢هـ) ألّف كتباً كثيرة في ذلك المجال، لعلّ أهمها كتاب «وقعة صفّين» الشهير [٤].

١ـ النجاشي: الرجال ١/ ٣١٣ برقم ٣٣٠.
٢ـ المصدر نفسه: ١/ ٨٠ برقم ٧ وفي فهرس الشيخ برقم ٦٢ يجمع المبدأ والمبعث.
٣ـ المصدر نفسه: ٢/ ٣٨٤ برقم ١١٤٩.
٤ـ المصدر نفسه: ٢/ ١٩١ـ١٩٢ برقم ٨٧٣.

٧ـ هشام بن محمّد بن السائب الكلبي (المتوفّى ٢٠٦هـ) أعلم علماء النسب والسير والآثار، ذكره النجاشي وقال: الناسب، العالم بالأيام، المشهور بالفضل والعلم، وكان يختص بمذهبنا. ثمّ ذكر كتبه (١).

هذا عرض موجز لمن شارك المسلمين من قدماء الشيعة في بناء الحضارة الإسلامية عن طريق تدوين السيرة والمغازي والمقاتل والتاريخ، وأمّا المتأخّرون فسل عنهم ولا حرج، وراجع المعاجم كأعيان الشيعة للسيد الأمين العاملي، والذريعة لشيخنا الطهراني.

١١ـ قدماء الشيعة وعلم الرجال:

اهتمّ علماء الشيعة بعد عصر التابعين بعلم الرجال وأولوه اهتماماً كبيراً، فبرزت منهم ثلة كبيرة من سادة هذا العلم، وسنحاول هنا أن نذكر أوائل المؤلّفين منهم:

١ـ عبد الله بن جبلة الكناني (المتوفّى ٢١٩هـ).

قال النجاشي: وبيت جبلة مشهور بالكوفة، كان فقيهاً ثقة مشهوراً. له كتب، منها كتاب الرجال ... (٢).

٢ـ علي بن الحسن بن فضال، كان فقيه أصحابنا بالكوفة ووجههم وثقتهم، وعارفهم بالحديث، من أصحاب الإمام الهادي والعسكري، له كتب منها كتاب الرجال (٣).

١ـ النجاشي: الرجال ٢/ ٣٩٩ برقم ١١٦٧.
٢ـ المصدر نفسه: ٢/ ١٣ برقم ٥٦١.
٣ـ المصدر نفسه: ٢/ ٨٢ برقم ٦٧٤.

٣ــ الحسن بــن محبوب السّراد (١٥٠ــ٢٢٤هــ) الراوي عــن ستين رجلاً، من أصحاب الصادق ـ عليه السلام ـ، له كتاب «المشيخة» وكتاب «معرفة رواة الأخبار»[١].

٤ــ أبو عمـرو الكشي، البصير بـالأخبار والـرجـال، تليمذ الشيـخ العياشي، وكتابه المعروف بـ «معرفة الرجال» هو الذي لخّصه الشيخ الطوسي وأسماه بـ «اختيار معرفة الرجال» وهو الموجود في الأعصار الأخيرة.

٥ـ الشيخ أبـو العباس أحمد بن علي النجاشي (٣٧٢ــ٤٥٠هـ) من نقّـاد هذا الفـن ومن أجـلاّئه وأعيانـه حـاز قصب السبـق في ميدان علـم الرجال، له كتاب فهرس مصنفي الشيعة المعروف برجال النجاشي.

٦ـ والشيـخ الطوسي (٣٨٥ــ٤٦٠هـ) الغني عـن التعريـف، عمل كتـابين أحدهما الفهـرست والآخـر الرجـال، ويعدّان مـن أُمّهات الكتـب الرجالية.

وتوالى التأليف في علـم الرجال كما في قرينه علم الـدراية إلى عصرنا هذا، وقـد أنهى الشيخ الطهراني، المؤلّفين من الشيعـة في علم الرجـال فبلغ قرابة خمسمائة مؤلّف، شكر الله مساعي الجميع.

هـذا عـرض مـوجـز من مشـاركـة علماء الشيعـة في بنـاء الحضـارة الإسلامية عن طريق تأسيس العلوم واكمالها وتطويرها، وأنت إذا وقفت على جهودهـم الجبـارة في القرون الأُولى وما بعدهـا إلى عصرنا الحاضر، تقف على طائفة كبيرة مـن عمالقة العلم وجهابـذة الفضل، كرسوا حيـاتهم الثمينة في

١ـ الطـوسي: الفهرسـت ٧١، برقـم ١٦٢، ابن شهـر آشوب: معـالم العلماء ٣٣٣ برقـم ١٨٢، الطهراني: مصفى المقال ١٢٨.

ارساء صرح الحضارة الإسلامية ورفع قواعدها، فخلّدوا لأنفسهم صحائف بيضاء، ولصالح أُمّتهم حضارة انسانية، كل ذلك في ظروف قاسية، وسلطات ظالمة شديدة الكلب، وأضغان محتدمة، إلاّ في فترات يسيرة.

١٢ـ قدماء الشيعة والعلوم العقلية:

جاء الإسلام ليحرّر عقل الإنسان وتفكيره من الأغلال المتراكمة الموروثة التي توارثها قهراً من الأجيال الماضية ، فهو يخاطب العقل ويدعوه إلى التأمّل والتفكير، ويخاطب القلب والضمير بما حوله من الأدلّة الناطقة، ويكفي في توضيح ذلك أنّ الذكر الحكيم استعمل مادة «العقل» بمختلف صورها ٤٧ مرّة، و «التفكّر» ١٨ مرّة، و «اللب» ١٦ مرّة و «التدبّر» ٤ مرات و «النُهى» مرتين. فبذلك نهى عن التقليد وحثّ على التعقّل ببيانات مختلفة.

فتارة يدعو الإنسان إلى التأمّل في ما حوله من الكائنات لما فيها من دلائل ناطقة على وجوده سبحانه وصفاته. قال سبحانه: ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها * رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها * وأَغْطَشَ لَيْلَها وَأَخْرَجَ ضُحاها * والأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحاها * أَخْرَجَ مِنْها ماءَها ومَرْعاها * وَالجِبالَ أَرْساها * متاعاً لَكُمْ ولأنعامِكُمْ﴾ [1].

وأُخرى يدعوه إلى التفكير والاستدلال المنطقي، فقال سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمٰواتِ والأَرْضِ بَلْ لا

١ـ النازعات/ ٢٧ـ ٣٣.

يوقِنُونَ﴾ [١] فعالـج المشاكل العلمية والفلسفيـة تارة بالدعـوة إلى النظر في الكون نـظرة ثاقبة فاحصة، وأُخرى بالحث على التفكير في المعارف باسلوب منطقي وبرهاني، وبذلك أيقظ عقـول المسلمين وحثّهم على التأمل والتدبر في العلوم المختلفة، دون التقليد الأعمى والتتبع غير المتبصر، وجعل لأُولئك المكانة المتميزة.

غير أنّ المسلمين سوى قليل منهم تنكّبوا عن هذا الطريق، خصوصاً في ما يرجـع إلى المعارف العليا، فصاروا بين مشبّه ومعطّل، فـالبسطاء منهم بنوا عقـائدهم بالجمـود على المفردات الـواردة في الكتاب والسنّة، وبـذلك استغنوا عن أيّ تعقّـل وتفكّر، إلى أن بلغت جرأتهم إلى حـدّ قال بعضهم في الخالق: اعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عمّـا وراء ذلك [٢]، فهؤلاء هم المجسّمة والمشبّهة، وأمّـا غيرهم فاختاروا تعطيل العقـول عن التفكّر في الله سبحانه، فقـالوا: أُعطينا العقل لإقامـة العبودية لا لإدراك الربـوبيّة، فمن شغل ما أُعطـي لإقامة العبوديـة بإدراك الربوبيـة فاتته العبوديـة، ولم يدرك الربوبية [٣].

فالأكثرية السـاحقة في القرون الأُولى كانوا بين مشبّه ومعطّل، غير أنّه سبحانه شملت عنايته أُمّـة من المسلمين رفضوا التشبيه والتعطيل، وسلكوا طريقاً ثالثـاً وقالوا بأنّه يمكن للانسان التعـرّف على ما وراء الطبيعة بما فيها من الجمال والكمال عن طريقين:

١ـ الطور / ٣٥ـ٣٦.

٢ـ الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ١٠٥ ط دار المعرفة، لبنان.

٣ـ علاقة الاثبات والتفويض نقلاً عن الحجة في بيان المحجة ٣٣.

١ـ النـظرة الفاحصـة إلى عالم الـوجود وجمال الطبيعـة كما وردت في القرآن الكريم.

٢ـ ترتيب المقاييس المنطقية للـوصول إلى الحقائق العليا، وهذا أيضاً هو الخط الذي رسمه القرآن الكريم، وسار على هذا الخط الأئمّة ـ عليهم السلام ـ من أوّلهم إلى آخرهم. تـرى ذلك في كلام الإمام علي ـ عليه السلام ـ بوضوح، في أحـاديثه وخطبـه ورسائلـه، ولا يسعنا هنـا أن نستعـرض ولو بعضـاً ممّا لـه ـ عليه السلام ـ في هذا المجال، إلاّ إنّا نكتفي بحديث واحد.

سألـه سائل: هل يقـدر ربّك أن يُدخـل الدنيا في بيضـة من غير أن يُصغّر الـدنيا أو يُكبّـر البيضة؟ فقـال: «إنّ الله تبارك وتعـالى لا يُنسب إلى العجز، والذي سألتني لا يكون»[1].

إنّ خطب الإمـام علي ـ عليه السلام ـ ورسائله وقصار حكمـه كانت هي الحجـر الأساس لكـلام الشيعة وآرائهـم في العقائد والمعـارف، ولم يتوقـف نشاط الشيعة في ذلك المجال، بل ونتيجة لتوالي الأئمة ـ عليهم السلام ـ إمام بعد إمام، كان يعنـي ذلك استمرار عين المنهج السـابق الذي ربّى عليـه الإمام علي ـ عليه السلام ـ شيعته، فواصل الأئمّـة من بعده ـ عليهم وعليه السلام ـ في حياتهم تربيـة شيعتهم فشحذوا عقـولهم بالـدعوة إلى التدبّـر والتفكّـر في المعارف، حتى تربّـى في مدرستهم عمالقة الفكـر من عصر سيد الساجدين إلى عصر الإمـام العسـكري، تجد أسمائهـم وتآليفهـم وأفكـارهم في المعـاجم وكتـب الـرجال، وقـد نبغ في عصر أئمّـة أهـل البيت مفكّـرون بارزون أدّوا لعمـوم المسلمين خدمـات لا تنكر، وأشرعـوا أبواب المعـرفة للبـاحثين والمفكريـن الذين تلوهم، ومن هؤلاء:

١ـ الصدوق: التوحيد ١٣٠ باب «القدرة» برقم ٩.

متكلّموا الشيعة في القرن الثاني:

١ـ زرارة بن أعين: مولى بني عبد الله بـن عمرو السمين بن أسعد بن همام بن مرة بن ذهـل بن شيبـان ، أبو الحسـن: شيخ أصحـابنا في زمـانه، ومتقـدّمهـم، وكـان قـارئاً، فقيهاً، متكلّماً، شـاعراً أديبـاً، قـد اجتمعت فيـه خصال الفضل والدين، صادقاً في ما يرويه.

قال أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بـابويه: رأيت له كتاباً في الاستطاعة والجبر [١].

وقال ابـن النديم: وزرارة أكبر رجـال الشيعة فقهـاً وحديثاً ومعـرفة بالكلام والتشيّع [٢]. وهـو من الشخصيـات البارزة للشيعـة التي أجمعـت الطائفة على تصديقهم، وهو غنّي عن التعريف والتوصيف.

٢ـ محمّد بن علي بن النعمان بن أبي طريفة البجلي: مولى الأحول «أبو جعفر» كوفي، صيرفي يلقب بـ «مؤمـن الطاق» و «صاحب الطاق» ، ويلقّبه المخالفون بـ «شيطـان الطاق» ... وكان دكانه في طاق المحـامل في الكوفة، فيرجع إليه في النقد فيردّ ردّاً فيخرج كما يقول، فيقال «شيطان الطاق».

أمّا منزلته في العلـم وحسن الخاطر، فأشهر، وقد نسبـت إليه أشياء لم تثبت عندنا.

وله كتـاب «افعل لا تفعل» وهو كتـاب حسن كبير، وقد أدخـل فيه

١ـ النجـاشي: الرجال ١/ ٣٩٧ بـرقم ٤٨١، الطـوسي: الفهرست بـرقم ٣١٤، الكشي: الرجال برقم ٦٢، الذهبي: ميزان الاعتدال ٢ برقم ٢٨٥٣.

٢ـ ابن النديم: الفهرست ٣٢٣.

بعض المتأخّرين أحاديث تدلّ على فساد، ويذكر تباين أقاويل الصحابة.

وله كتاب «الاحتجاج في إمامة أمير المؤمنين -عليه السلام-» وكتاب كلامه على الخوارج، وكتاب مجالسه مع أبي حنيفة والمرجئة ...[1].

وقال ابن النديم: وكان متكلّماً حاذقاً، وله من الكتب كتاب الإمامة، كتاب المعرفة، كتاب الرد على المعتزلة في إمامة المفضول، كتاب في أمر طلحة والزبير وعائشة[2].

٣- هشام بن الحكم: قال ابن النديم: هو من متكلّمي الشيعة الإمامية وبطانتهم، وممّن دعا له الصادق -عليه السلام-، فقال: «أقول لك ما قال رسول الله لحسان: لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك».

وهو الذي فتق الكلام في الإمامة، وهذّب المذهب، وسهّل طريق الحجاج فيه، وكان حاذقاً بصناعة الكلام حاضر الجواب[3].

ويقول الشهرستاني: وهذا هشام بن الحكم، صاحب غور في الأُصول، لا ينبغي أن يغفل عن الزاماته على المعتزلة، فإنّ الرجل وراء ما يلزم به على الخصم، ودون ما يظهره من التشبيه، وذلك أنّه ألزم الغلاة ...[4].

وقال النجاشي: هشام بن الحكم، أبو محمّد مولى كندة، وكان ينزل

١- النجاشي: الرجال ٢/ ٢٠٣ برقم ٨٨٧، الطوسي: الرجال أصحاب الكاظم برقم ١٨ والفهرست للطوسي برقم ٥٩٤، الكشي: الرجال برقم ٧٧.

٢- ابن النديم: الفهرست ٢٦٤ وأيضاً ٢٥٨.

٣- المصدر نفسه: ٢٥٧.

٤- الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ١٨٥.

بني شيبان بالكوفة، انتقل إلى بغداد سنة ١٩٩ هـ ويقال: إنّه مات في هذه السنة ، له كتاب يرويه جماعة. ثم ذكر أسماء كتبه فبلغت ثلاثون كتاباً [١].

وأمّا أحمد أمين فيقول عنه: أكبر شخصية شيعية في الكلام، وكان جداً قوّي الحجة، ناظر المعتزلة وناظروه، ونقلت له في كتب الأدب مناظرات كثيرة متفرقة تدل على حضور بديهيته وقوّة حججه.

إنّ الرجل كان في بداية أمره من تلاميذ أبي الشاكر الديصاني، صاحب النزعة الإلحادية في الإسلام، ثمّ تبع الجهم بن صفوان الجبري المتطرّف المقتول بترمذ عام ١٢٨ هـ ثمّ لحق بالإمام الصادق ـ عليه السلام ـ ودان بمذهب الإمامية، وما تنقل منه من الآراء التي لا توافق أُصول الإمامية، فإنّما هي راجعة إلى العصرين اللذين كان فيهما على النزعة الإلحادية أو الجهمية، وأمّا بعد ما لحق بالإمام الصادق ـ عليه السلام ـ فقد انطبعت عقليته بمعارف أهل البيت إلى حد كبير، حتى صار أحد المناضلين عن عقائد الشيعة الإمامية [٢].

---

١ ـ النجاشي: الرجال ٢/ ٣٩٧ برقم ١١٦٥ . وذكر أسماء كتبه على النحو التالي:

علل التحريم، الفرائض، الإمامة، الدلالة على حدث الأجسام، الرد على الزنادقة، الرد على أصحاب الاثنين، التوحيد، الرد على هشام الجواليقي، الرد على أصحاب الطبائع، الشيخ و الغلام في التوحيد، التدبير في الإمامة، الميزان، إمامة المفضول، الوصية والرد على منكريها، الميدان، اختلاف الناس في الإمامة، الجبر والقدر، كتاب الحكمين، الرد على المعتزلة وطلحة والزبير، القدر، الألفاظ، الاستطاعة، المعرفة، الثمانية أبواب، على شيطان الطاق، الأخبار، الرد على المعتزلة، الرد على ارسطاطاليس في التوحيد، المجالس في التوحيد، المجالس في الإمامة .

٢ ـ إنّ للعلاّمة الحجة الشيخ عبد الله نعمة كتاباً في حياة هشام بن الحكم، فقد أغرق نزعاً في التحقيق، وأغنانا عن كل بحث وتنقيب.

٤ـ قيس الماصر: أحد أعلام المتكلّمين، تعلّم الكلام من علي بن الحسين ـ عليهما السلام ـ.

روى الكليني: إنّه أتى شامي إلى أبي عبد الله الصادق ـ عليه السلام ـ ليناظر أصحابه، فقال ـ عليه السلام ـ ليونس بن يعقوب: أُنظر من ترى بالباب من المتكلّمين ... إلى أن قال يونس: فأدخلت زرارة بن أعين وكان يحسن الكلام، وأدخلت الأحول وكان يحسن الكلام، وأدخلت هشام بن الحكم وهو يحسن الكلام، وأدخلت قيس الماصر وكان عندي أحسنهم كلاماً وقد تعلم الكلام من علي بن الحسين ـ عليهما السلام ـ [1].

٥ـ عيسى بن روضة حاجب المنصور: قال عنه النجاشي: كان متكلّماً، جيد الكلام، وله كتاب في الإمامة. وقرأت في بعض الكتب: إنّ المنصور لما كان بالحيرة، تسمّع على عيسى بن روضة، وكان مولاه وهو يتكلّم في الإمامة فأُعجب به واستجاد كلامه [2].

٦ـ الضحاك، أبو مالك الحضرمي: كوفي، عربي، أدرك أبا عبد الله ـ عليه السلام ـ وقال قوم من أصحابنا: روى عنه، وقال آخرون: لم يرو عنه، روى عن أبي الحسن، وكان متكلّماً ثقة ثقة في الحديث، وله كتاب في التوحيد رواه عنه علي بن الحسن الطاطري [3] فالرجل من متكلّمي القرن الثاني.

وقال ابن النديم: من متكلّمي الشيعة، وله مع أبي علي الجبّائي

١ـ الكليني: الكافي ١/ ١٧١.

٢ـ النجاشي: الرجال ٢/ ١٤٥ برقم ٧٩٤.

٣ـ المصدر نفسه: ١/ ٤٥١ برقم ٥٤٤.

مجلس في الإمامة وتثبيتها بحضرة أبي محمّد القاسم بن محمّد الكوفي، وله من الكتب: كتاب الإمامة، نقض الإمامة على أبي علي ولم يتمّه [١].

٧ـ علي بن الحسن بن محمّد الطائي: المعروف بـ «الطاطري» كان فقيهاً ثقة في حديثه، له كتب منها: التوحيد، الإمامة، الفطرة، المعرفة، الولاية [٢] وغيرها.

وعدّه ابن النديم من متكلّمي الإمامية وقال: ومن القدماء: الطاطري، وكان شيعياً، وله من الكتب كتاب الإمامة حسن [٣].

٨ـ الحسن بن علي بن يقطين بن موسى: مولى بني هاشم، وقيل مولى بني أسد، كان فقيهاً متكلّماً، روى عن أبي الحسن والرضا ـ عليهما السلام ـ ، وله كتاب مسائل أبي الحسن موسى ـ عليه السلام ـ [٤] وبما أنّ أبا الحسن الأوّل توفّي عام ١٨٣ هـ والثاني توفّي عام ٢٠٣ هـ فالرجل من متكلّمي القرن الثاني وأوائل الثالث.

وذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ [٥].

٩ـ حديد بن حكيم: أبو علي الأزدي المدائني، ثقة، وجه، متكلّم، روى عن أبي عبد الله، وأبي الحسن ـ عليهما السلام ـ و له كتاب يرويه محمّد بن

١ـ ابن النديم: الفهرست ٢٦٦.
٢ـ النجاشي: الرجال ٢/ ٧٧ برقم ٦٦٥.
٣ـ ابن النديم: الفهرست ٢٦٦.
٤ـ النجاشي: الرجال ١/ ١٤٨ برقم٩.
٥ـ الشيخ الطوسي: الرجال برقم ٧.

خالد [١].

١٠ـ فضال بن الحسن بن فضال: وهو من متكلّمي عصر الصادق ـعليه السلام ـ وذكره الطبرسي في احتجاجه ومناظرته مع أبي حنيفة، فلاحظ [٢].

إنّ ما ذكرناه من أساتذة الكلام كانوا نماذج مصغرة من تلامذة أهل البيت ـعليهم السلام ـ وخريجي مدرستهم، وقد اكتفينا بذكر هذه الطائفة تجنّباً عن الإطالة والإسهاب، ومن ابتغى الاستزادة فعليه بالمراجع التاريخية وكتب الكلام المختلفة التي حفلت بأسماء الأعلام الباقين، أمثال حمران بن أعين الشيباني، وهشام بن سالم الجواليقي، والسيد الحميري، والكميت الأسدي [٣].

متكلّموا الشيعة في القرن الثالث:

١ـ الفضل بن شاذان بن خليل أبو محمّد الأزدي النيشابوري: كان أبوه من أصحاب يونس، وروى عن أبي جعفر الثاني وقيل الرضا ـعليهما السلام ـ وكان ثقة، أحد أصحابنا الفقهاء، والمتكلّمين، وله جلالة في هذه الطائفة، وهو في قدره أشهر من أن نصفه، وذكر الكنجي أنّه صنّف مائة وثمانين كتاباً.

وذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الإمام الهادي والعسكري. وقد

١ـ النجاشي: الرجال ١/ ٣٧٧ برقم ٣٨٣، وذكره الخطيب في تاريخه ج ٨ برقم ٤٣٧٧.

٢ـ التستري: قاموس الرجال ٤/ ٣١٣.

٣ـ لاحظ أعيان الشيعة ١/ ١٣٤ـ١٣٥.

توفّي عام ٢٦٠هـ فهو من متكلّمي القرن الثالث. وقد ذكر النجاشي فهرس كتبه فراجع للاستزادة [١].

٢ـ حكم بن هشام بن حكم: أبو محمّد، مولى كندة، سكن البصرة، وكان مشهوراً بالكلام، كلّم الناس، وحكي عنه مجالس كثيرة، ذكر بعض أصحابنا أنّه رأى له كتاباً في الإمامة [٢] وقد توفّي والده عام ٢٠٠ هـ أو ١٩٩هـ فهو من متكلّمي أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الثالث.

٣ـ داود بن أسد بن أعفر: أبو الأحوص البصري ـ رحمه الله ـ شيخ جليل، فقيه متكلّم من أصحاب الحديث، ثقة ثقة، وأبوه من شيوخ أصحاب الحديث الثقاة، له كتب منها: كتاب في الإمامة على سائر من

١ـ النجاشي: الرجال ٢/ ١٦٨ برقم ٨٣٨، والطوسي: الرجال برقم ١و٢ في أصحاب الهادي والعسكري، والكشي: الرجال برقم ٤١٦. وذكر النجاشي أسماء كتبه على النحو التالي:

النقض على الاسكافي في تقوية الجسم، الوعيد، الرد على أهل التعطيل، الاستطاعة، مسائل في العلم، الأعراض والجواهر، العلل، الإيمان، الرد على الثنوية، إثبات الرجعة، الرد على الغالية المحمدية، تبيان أصل الضلالة، الرد على محمّد بن كرّام، التوحيد في كتب الله، الرد على أحمد بن الحسين، الرد على الأصم، في الوعد والوعيد آخر، الرد على بيان إيمان ابن رباب (الخارجي)، الرد على الفلاسفة، محنة الإسلام، الأربع مسائل في الإمامة، الرد على المنّانية، الرد على المرجئة، الرد على القرامطة، الرد على البائسة، اللطيف، القائم ـ عليه السلام ـ، كتاب الإمامة الكبير، حذو النعل بالنعل، فضل أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ، معرفة الهدى والضلالة، التعري والحاصل، الخصال في الإمامة، المعيار والموازنة، الرد على الحشوية، الرد على الحسن البصري في التفضيل، النسبة بين الجبرية والبترية.

٢ـ النجاشي: الرجال ١/ ٣٢٨ برقم ٣٤٩.

خالفه من الأُمم، والآخر مجرد الدلائل والبراهين [١].

وذكره الشيخ الطوسي في الفهرست في باب الكنى وقال: انّه من جملة متكلّمي الإمامية، لقيه الحسن بن موسى النوبختي وأخذ عنه، واجتمع معه في الحائر على ساكنه السلام، وكان ورد للزيارة [٢]، فبما أنّه من مشايخ الحسن بن موسى النوبختي المعاصر للجبّائي (المتوفّى عام ٣٠٣هـ) فهو من متكلّمي القرن الثالث المعاصر.

٤ـ محمّد بن عبد الله بن مملك الاصبهاني: أصله من جرجان، وسكن اصبهان، جليل في أصحابنا، عظيم القدر والمنزلة له كتب منها كتاب الجامع في سائر أبواب الكلام كبير، كتاب المسائل والجوابات في الإمامة، كتاب مواليد الأئمة ـعليهم السلامـ، كتاب مجالسه مع أبي علي الجبّائي (٢٣٥ـ٣٠٣هـ) [٣].

٥ـ ثبيت بن محمّد، أبو محمّد العسكري: صاحب أبي عيسى الوراق (محمّد بن هارون) متكلّم حاذق، من أصحابنا العسكريين، وكان أيضاً له اطلاع بالحديث والرواية، والفقه، له كتب في الحديث والإمامة وغيرها [٤].

٦ـ إسماعيل بن محمّد بن إسماعيل بن هلال المخزومي: أبو محمّد، أحد أصحابنا، ثقة فيما يرويه له كتاب التوحيد، كتاب المعرفة، كتاب الإمامة [٥].

١ـ النجاشي: الرجال ١/ ٣٦٤ برقم ٤١٢.

٢ـ الطوسي: الفهرست ٢٢١ برقم ٨٧٥.

٣ـ النجاشي: الرجال ٢/ ٢٩٧ برقم ١٠٣٤.

٤ـ المصدر نفسه: ١/ ٢٩٣ برقم ٢٩٨، وثبيت على وزن زبير.

٥ـ المصدر نفسه: ١/ ١٢٠ برقم ٦٦.

٧ـ محمّد بن هارون، أبو عيسى الوراق: له كتاب الإمامة، وكتاب السقيفة.

قال ابن حجر: له تصانيف على مذهب المعتزلة، وقال المسعودي له مصنّفات حسان في الإمامة وغيرها، وكانت وفاته سنة ٢٤٧ هـ [١].

٨ ـ إبراهيم بن سليمان بن أبي داحة المزني: مولى آل طلحة بن عبيد الله أبو إسحاق، وكان وجه أصحابنا البصريين في الفقه والكلام والأدب والشعر [٢].

٩ـ الشكّال: قال ابن النديم: صاحب هشام بن الحكم وخالفه في أشياء إلاّ في أصل الإمامة، وله من الكتب: كتاب المعرفة، كتاب في الاستطاعة، كتاب الإمامة، كتاب على من أبىٰ وجوب الإمامة بالنص [٣].

١٠ـ الحسين بن اشكيب: ثقة مقدم، ذكره أبو عمرو في كتاب الرجال في أصحاب أبي الحسن العسكري ـ عليه السلام ـ ووصفه بأنّه عالم متكلّم مؤلّف للكتب له من الكتب: كتاب الرد على من زعم أنّ النبيّ ﷺ كان على دين قومه، والرد على الزيدية [٤].

١١ـ عبد الرحمن بن أحمد بن جبرويه، أبو محمّد العسكري: متكلّم من أصحابنا، حسن التصنيف، جيّد الكلام. من كتبه: كتاب الكامل في

١ـ النجاشي: الرجال ٢/ ٢٨٠ برقم ١٠١٧، ابن حجر: لسان الميزان ج٥ برقم ١٣٦٠، المحقق الداماد: الرواشح السماوية ٥٥ ومر ذكره في ترجمة ثبيت، وما في كلام ابن حجر من عده من المعتزلة، ناشئ عن الخلط بين المعتزلة والإمامية.

٢ـ المصدر نفسه: ١/ ٨٧ برقم ١٣.

٣ـ ابن النديم: الفهرست ٢٦٤ .

٤ـ النجاشي: الرجال ١/ ١٤٦ برقم ٨٧.

الإمامة، كتاب حسن [١].

١٢ـ علي بن منصور، أبو الحسن ، كوفي سكن بغداد، متكلّم من أصحاب هشام، له كتب، منها كتاب التدبير في التوحيد والإمامة [٢].

١٣ـ علي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم بن يحيى التمّار: أبو الحسن مولى بني أسد، كوفي، سكن البصرة، وكان من وجوه المتكلّمين من أصحابنا، كلّم أبا الهذيل (١٣٥ ـ ٢٣٥ هـ) والنظام(١٦٠ ـ ٢٣١هـ) له مجالس وكتب منها كتاب الإمامة، كتاب مجالس هشام بن الحكم وكتاب المتعة [٣].

وقال ابن النديم: أوّل من تكلّم في مذهب الإمامة علي بن إسماعيل ابن ميثم التمّار، وميثم (جده) من أجلّة أصحاب علي ـ رضي الله عنه ـ ولعلي من الكتب كتاب الإمامة و كتاب الاستحقاق [٤].

متكلّموا الشيعة في القرن الرابع:

١ـ الحسن بن علي بن أبي عقيل: أبو محمّد العماني، الحذّاء، فقيه متكلّم ثقة، له كتب في الفقه والكلام، منها كتاب «المتمسّك بحبل الرسول» [٥].

٢ـ إسماعيل بن علي بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت: كان شيخ

١ـ النجاشي: الرجال ٢/ ٤٧ برقم ٦٢٣.

٢ـ المصدر نفسه: ٢/ ٧١ برقم ٦٥٦.

٣ـ المصدر نفسه: ٢/ ٧٢ برقم ٦٥٩.

٤ـ ابن النديم: الفهرست ٢٦٣.

٥ـ النجاشي: الرجال ١/ ١٥٣ برقم ٩٩.

المتكلّمين من أصحابنا وغيرهم، له جلالة في الدنيا والدين، يجري مجرى الوزراء في جلالة الكتاب، صنّف كتباً كثيرة، منها: كتاب الاستيفاء في الإمامة، التنبيه في الإمامة.

وقال ابن النديم: أبو سهل، إسماعيل بن علي بن نوبخت من كبار الشيعة، وكان أبو الحسن الناشئ يقول: إنّه أُستاذه، وكان فاضلاً، عالماً، متكلّماً، وله مجالس بحضرة جماعة من المتكلّمين ... وذكر فهرس كتبه [١].

٣ـ الحسين بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه: (أخو الصدوق) القمي أبو عبد الله، ثقة، روى عن أبيه اجازة، وله كتب منها: كتاب التوحيد ونفي التشبيه، وقد توفّي أخوه عام ٣٨١ هـ فهم من أعيان القرن الرابع، وهو وأخوه ولدا بدعوة صاحب الأمر ـ عليه السلام ـ، ترجمه ابن حجر في لسان الميزان [٢].

٤ـ محمّد بن بشر الحمدوني «أبو الحسين السوسنجردي»: متكلّم جيد الكلام، صحيح الاعتقاد، كان يقول بالوعيد، له كتب، منها: كتاب المقنع في الإمامة، كتاب المنقذ في الإمامة [٣].

وقال ابن النديم: السوسنجردي من غلمان أبي سهل النوبختي ويكنّى أبا الحسن، ويعرف بالحمدوني منسوباً إلى آل حمدون، وله من الكتب كتاب الإنقاذ في الإمامة [٤].

١ـ ابن النديم: الفهرست ٢٦٥.

٢ـ النجاشي: الرجال ١/ ١٨٩ برقم ١٦١، ابن حجر: لسان الميزان ٢/ ٣٠٦ برقم ١٢٦٠.

٣ـ المصدر نفسه: ٢/ ٢٩٨ برقم ١٠٣٧.

٤ـ ابن النديم: الفهرست ٢٦٦.

وقال ابن حجر: كان زاهداً ورعاً متكلّماً، على مذهب الإمامية، وله مصنّفات في نصرة مذهبه [١].

٥ ـ يحيى أبو محمّد العلوي من بني زبارة: علوي، سيّد، متكلّم، فقيه، من أهل نيشابور. قال الشيخ الطوسي: جليل القدر، عظيم الرئاسة، متكلّم، حاذق، زاهد، ورع، لقيت جماعة ممّن لقوه وقرأوا عليه، له كتاب ابطال القياس، وكتاب في التوحيد [٢].

٦ ـ محمّد بن عبد الرحمن بن قبة الرازي، أبو جعفر: متكلّم، عظيم القدر حسن العقيدة، قوي في الكلام، له كتب في الكلام، وقد سمع الحديث، وأخذ عنه ابن بطة وذكره في فهرسته الذي يذكر فيه من سمع منه فقال: وسمعت من محمّد بن عبد الرحمن بن قبة.

وقال ابن النديم: أبو جعفر بن محمّد بن قبة من متكلّمي الشيعة وحذّاقهم، وله من الكتب: كتاب الانصاف في الإمامة، كتاب الإمامة [٣].

وقال العلاّمة الحلي عنه: «وكان حاذقاً شيخ الإمامية في عصره» [٤].

٧ ـ علي بن وصيف، أبو الحسن الناشي: (٢٧١ـ٣٦٥هـ) ذكره النجاشي وقال: الشاعر المتكلّم، ذكر شيخنا ـ رضي الله عنه ـ أنّ له كتاباً في الإمامة [٥].

---

١ ـ ابن حجر: لسان الميزان ٥/ ٩٣ برقم ٣٠٤.

٢ ـ النجاشي: الرجال ٢/ ٤١٣ برقم ١١٩٢، وقد جاءت ترجمته أيضاً برقم ١١٩٥، الشيخ الطوسي: الفهرست برقم ٨٠٣.

٣ ـ ابن النديم: الفهرست ٢٦٢.

٤ ـ العلاّمة: الخلاصة ـ القسم الأوّل ـ ١٤٣.

٥ ـ النجاشي: الرجال ٢/ ١٠٥ برقم ٧٠٧.

وقال الطوسي: كان شاعراً مجوداً في أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ومتكلّماً بارعاً وله كتب (١).

وقال ابن خلكان: من الشعراء المحبين، وله في أهل البيت قصائد كثيرة، وكان متكلّماً بارعاً، أخذ علم الكلام عن أبي سهل إسماعيل بن علي ابن نوبخت المتكلّم، وكان من كبار الشيعة، وله تصانيف كثيرة، وقال ابن كثير: إنّه كان متكلّماً، بارعاً من كبار الشيعة، فهو من متكلّمي القرن الرابع (٢).

١٠ـ الحسن بن موسى، أبو محمد النوبختي: شيخنا المبرز على نظرائه في زمانه قبل الثلاثمائة وبعدها، له على الأوائل كتب كثيرة، منها:

١ـ كتاب الآراء والديانات، يقول النجاشي: كتاب كبير حسن يحتوي على علوم كثيرة قرأت هذا الكتاب على شيخنا أبي عبد الله (المفيد) ـ رحمه الله ـ.

٢ـ كتاب فرق الشيعة.

٣ـ كتاب الرد على فرق الشيعة ما خلا الإمامية.

٤ـ كتاب الجامع في الإمامة (٣).

والرجل من أكابر متكلّمي الشيعة، عاصر الجبّائي (المتوفّى عام ٣٠٣هـ)، والبلخي (المتوفّى عام ٣١٩هـ)، وأبو جعفر بن قبة المتوفّى قبل البلخي، فهو من أعيان متكلّمي الشيعة في أُواخر القرن الثالث، وأوائل القرن الرابع.

١ـ الطوسي: الفهرست ٢٣٣ طبع ليدن.

٢ـ المامقاني: تنقيح المقال ٢/ ٣١٣ برقم ٨٥٤٩.

٣ـ النجاشي: الرجال ١/ ١٧٩ برقم ١٤٦، ترجمه ابن حجر في لسان الميزان ٢/ ٢٥٨ برقم ١٠٧٥، وترجمه هبة الدين الشهرستاني في مقدمة فرق الشيعة.

وقال عنه ابن النديم: أبو محمّد الحسن بن موسى بن أُخت أبي سهل ابن نوبخت، متكلّم فيلسوف كان يجتمع إليه جماعة من النقلة لكتب الفلسفة، مثل أبي عثمان الدمشقي، وإسحاق وثابت وغيرهم، وكانت المعتزلة تدّعيه، والشيعة تدّعيه ولكنّه إلى حيّز الشيعة ما هو (كذا) لأنّ آل نوبخت معروفون بولاية علي وولده ـ عليهم السلام ـ في الظاهر، فلذلك ذكرناه في هذا الموضع... وله مصنّفات وتأليفات في الكلام والفلسفة وغيرها. ثمّ ذكر فهرس كتبه ولم يذكر إلاّ القليل من الكثير [1].

أقول: إنّ بيت نوبخت من أرفع البيوتات الشيعية نبغ منه فلاسفة كبار، متكلّمون عظام، لا يسعنا هنا الحديث عنهم، فمن أراد التفصيل فليرجع إلى الكتب المؤلّفة حول هذا البيت.

هؤلاء هم بعض أعلام الشيعة و متكلّموهم في القرون الأربعة من الذين ذادوا عن حياض الإسلام والتشيّع ببيانهم وبنانهم، أتينا بأسمائهم في هذا المقام كنموذج عن رجالات الشيعة الأفذاذ الذين ساهموا مع إخوانهم من المفكّرين المسلمين في بناء صرح الحضارة الإسلامية الخالد، ونختم بحثنا هذا بذكر أكبر فطاحلة الكلام ورجاله الأفذاذ، رجل قلّ أن يسمع الدهر بأمثاله، ونقصد به شيخ الأُمّة وأُستاذ المتكلّمين شيخنا المفيد (٣٣٦ـ ٤١٣هـ) الذي نطق بفضله وعلمه وورعه وتقاه لسان كل موافق ومخالف، وإليك نموذج ممّا ذكره أصحاب التذكرة وعلماء الرجال في كتبهم على وجه الإيجاز، ونركّز على كلمات أهل السنّة و مع ذكر القليل من كلمات الشيعة في حقّه.

١ـ ابن النديم: الفهرست ٢٦٥ ـ ٢٦٦ الفن الثاني من المقالة الخامسة.

١ـ قال عنه معاصره ابن النديم (المتوفّى عام ٣٨٨ هـ) في الفهرست:

ابن المعلم أبو عبد الله، في عصرنا انتهت رئاسة متكلّمي الشيعة إليه، مقدم في صناعة الكلام على مذهب أصحابه، دقيق الفطنة، ماضي الخاطرة، شاهدته فرأيته بارعاً ... [١].

٢ـ وقال عبد الرحمن ابن الجوزي (المتوفّى عام ٥٩٧هـ) :

شيخ الإمامية وعالمها، صنّف على مذهبه، ومن أصحابه المرتضى، كان لابن المعلم مجلس نظر بداره ـ بدرب رياح ـ يحضره كافة العلماء، له منزلة عند أمراء الأطراف، لميلهم إلى مذهبه [٢].

٣ـ وقال أبو السعادات عبد الله بن أسعد اليافعي (المتوفّى عام ٧٦٨ هـ):

وفي سنة ثلاث عشرة وأربعمائة توفّي عالم الشيعة وإمام الرافضة، صاحب التصانيف الكثيرة، شيخهم المعروف بالمفيد، وابن المعلم أيضاً، البارع في الكلام والجدل والفقه، وكان يناظر أهل كل عقيدة مع الجلالة والعظمة في الدولة البويهية. قال ابن أبي طي: وكان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، خشن اللباس، وقال غيره: كان عضد الدولة ربّما زار الشيخ المفيد، وكان شيخاً ربعة نحيفاً أسمر، عاش ستاً وسبعين سنة، وله أكثر من مائتي مصنّف، وكانت جنازته مشهورة وشيّعه ثمانون

١ـ ابن النديم: الفهرست ٢٦٦ في فصل أخبار متكلّمي الشيعة.

٢ـ ابن الجوزي: المنتظم ١٥/ ١٥٧.

ألفاً من الرافضة والشيعة [١].

٤ـ ووصفه أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (المتوفّى عام ٧٧٤هـ) بقوله:

شيخ الإمامية الروافض، والمصنّف لهم، والمحامي عن حوزتهم، وكان يحضر مجلسه خلق كثير من العلماء وسائر الطوائف [٢].

٥ـ وقال الذهبي (المتوفّى عام ٧٤٨هـ):

عالم الشيعة و إمام الرافضة وصاحب التصانيف الكثيرة، قال ابن أبي طي في تاريخه ـ تاريخ الإمامية: ـ هو شيخ مشايخ الطائفة ولسان الإمامية ورئيس الكلام والفقه والجدل، وكان يناظر أهل كل عقيدة مع الجلالة العظيمة في الدولة البويهية [٣].

٦ـ قال ابن حجر (المتوفّى عام ٨٥٢هـ) بعد نقل ما ذكره الذهبي:

وكان كثير التعقيب والتخشّع والاكباب على العلم، تخرج به جماعة، وبرع في المقالة الإمامية حتى يقال: له على كل إمامي منّة، وكان أبوه معلماً بواسط، وما كان المفيد ينام من الليل إلاّ هجعة ثمّ يقوم يصلي أو يطالع أو يدرس أو يتلو القرآن [٤].

٧ـ وقال عنه ابن العماد الحنبلي (المتوفّى عام ١٠٨٩هـ):

١ـ اليافعي: مرآة الجنان ٣/ ٢٨ طبع الهند.
٢ـ ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ١٥.
٣ـ الذهبي: العبر ٢/ ٢٢٥.
٤ـ ابن حجر: لسان الميزان ٥/ ٣٦٨ برقم ١١٩٦.

ابن المعلم، عالم الشيعة، إمام الرافضة، وصاحب التصانيف الكثيرة، قال ابن أبي طي في تاريخ الإمامية: هو شيخ مشايخ الطائفة ولسان الإمامية ورئيس الكلام، والفقه، والجدل، وكان يناظر أهل كل عقيدة مع الجلالة والعظمة في الدولة البويهية [١].

هذا جانب ممّا ترجم له أهل السنّة، وأمّا الشيعة فنقتصر على كلام تلميذيه الطوسي والنجاشي توخّياً للاختصار:

١ـ يقول الشيخ الطوسي (٣٨٥ـ٤٦٠هـ) في الفهرست:

المفيد يكنّى أبو عبد الله، المعروف بابن المعلم، من جملة متكلّمي الإمامية، انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته، وكان مقدّماً في العلم، وصناعة الكلام، وكان فقيهاً متقدماً فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب، وله قريب من مائتي مصنّف كبار وصغار، وفهرست كتبه معروف، ولد سنة ٣٣٨هـ، وتوفّي لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ٤١٣ هـ وكان يوم وفاته يوماً لم ير أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه وكثرة البكاء من المخالف والموافق [٢].

٢ـ ويقول تلميذه الآخر، النجاشي (٣٧٢ـ٤٥٠هـ):

شيخنا وأُستاذنا ـ رضي الله عنه ـ فضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية والوثاقة والعلم. ثمّ ذكر تصانيفه [٣].

١ـ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٣/ ١٩٩ وفيه مكان الطائفة «الصوفية» وهو لحن.

٢ـ الشيخ الطوسي: الفهرست برقم ٧١٠.

٣ـ النجاشي: الرجال ٢/ ٣٢٧ برقم ١٠٦٨.

وهكذا وبعد أن أوردنا بعضاً من رجالات الطائفة الذين برعوا في علم الكلام حتى نهاية القرن الرابع، أود أن أُشير إلى بعض أساتذة الفلسفة الذين لمعت أسماؤهم في سماء العالم الإسلامي بعد القرن الرابع الهجري:

مشاهير أئمّة الفلسفة بعد القرن الرابع:

١ـ الشيخ أبو علي سينا: إذا كان الشيخ المفيد أكبر متكلّم للشيعة ظهر في العراق، فإنّ الشيخ الرئيس ابن سينا (٣٨٠ـ٤٢٤هـ) أكبر فيلسوف إسلامي شيعي ظهر في المشرق، وهو من الذين دفعوا عجلة الفكر والعلم إلى الأمام في خطوات كثيرة، وقد طار صيته شرقاً وغرباً، وكتبت عنه دراسات ضافية من المسلمين والمستشرقين، ونحن في غنى عن افاضة القول في ترجمة حياته، وآثاره التي خلّفها، والتلاميذ الذين تربّوا في مدرسته، ولكن نشير إلى كتابين من كتبه لما لهما من الشهرة والمكانة:

ألف ـ الشفاء: وهو يشتمل على المنطق والطبيعيات والإلهيات والرياضيات وقد طبع أخيراً في مصر في أجزاء، وبالامعان فيما ذكره في مبحث النبوّة يعلم منه مذهبه، قال: والاستخلاف بالنص أصوب، فإنّ ذلك لا يؤدّي إلى التشعّب والتشاغب والاختلاف[1].

باء ـ الاشارات: وهو يشتمل على المنطق والطبيعيات والإلهيات، وهو من أحسن مؤلّفاته، وفيه آراءه النهائية، وقد وقع موقع العناية لمن بعده، فشرحه الإمام الرازي (٥٤٣ـ٦٠٦هـ) والمحقّق الطوسي (٥٩٧ـ٦٧٢هـ) والشرح الثاني كان محور الدراسة في الحوزات العلمية.

١ـ الشفاء قسم الإلهيات ٢/ ٥٦٤ طبع إيران.

٢ـ نصير الدين الطوسي: سلطان المحقّقين وأُستاذ الحكماء والمتكلّمين (٥٩٧ـ٦٧٢هـ) وهو أشهر من أن يذكر، شارك في جميع العلوم النظرية فأصبح أُستاذاً محقّقاً مؤسّساً، أثنى عليه الموافق والمخالف.

٣ـ الشيخ كمال الدين، ميثم بن علي بن ميثم البحراني (٦٣٦ـ٦٩٩هـ) الفيلسوف المحقّق، والحكيم المدقّق، قدوة المتكلمين، تظهر جلالة شأنه و سطوع برهانه من الامعان في شرحه لنهج البلاغة في أربعة أجزاء، وله «قواعد المرام في الكلام» وكلاهما مطبوعان.

٤ـ العلاّمة الحلّي: شيخ الشيعة جمال الدين المعروف بالعلاّمة الحلّي (٦٤٨ ـ ٧٢٨ هـ) له الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد، وكشف المراد في الكلام، وكتبه في المنطق والكلام والفلسفة تنوف على العشرين.

٥ـ قطب الدين الرازي (المتوفّى ٧٦٦ هـ) تلميذ العلاّمة الحلّي وأُستاذ الشهيد الأوّل، له شرح المطالع في المنطق، والمحاكمات بين العلمين: الرازي ونصير الدين الطوسي.

إلى غير ذلك من العقول الكبيرة التي ظهرت في الحوزات الشيعية، كالفاضل المقداد (المتوفّى عام ٨٠٨ هـ) مؤلّف نهج المسترشدين في الكلام، والشيخ بهاء الدين العاملي (٩٥٣ـ١٠٣٠هـ) ، والسيد محمّد باقر المعروف بالداماد (المتوفّى عام١٠٤٠هـ)، وتلميذه المعروف بصدر المتألّهين مؤلّف الأسفار الأربعة (٩٧١ـ ١٠٥٠ هـ)، وغيرهم ممّن يتعسر علينا احصاء أسماءهم فضلاً عن تحرير تراجمهم.

هذه لمحة عابرة عن مشاركة الشيعة في بناء الحضارة الإسلامية في مجال العلوم العقلية، والتي اقتصرنا فيها على ذكر ما يتسع به المجال من

بعض المشاهير منهم إلى أواسط القرن الحادي عشر، حيث إنّ هناك العديد من الأسماء الكبيرة واللامعة. هذا وقد قام المتتبّع المتضلّع الشيخ عبد الله نعمة بتأليف كتاب حول فلاسفة الشيعة ومتكلّميهم أسماه «فلاسفة الشيعة» فسد بذلك بعض الفراغ جزاه الله خيراً.

ومن الجانب الآخر يجد المرء أنّ هذا العطاء المقدس في علوم التفكير والبرهنة لم يزل متواصلاً لدى الشيعة وحتى عصرنا الحاضر هذا، حيث ظهرت العديد من الشخصيات الفذة والبارزة، رفدت المكتبة الإسلامية بمؤلفات غنية في الكلام والفلسفة والمنطق، في الوقت الذي عاش فيه كثير من هؤلاء العلماء والمفكرين في ظروف قاهرة ومصاعب جمّة، لعبت فيها السلطات الجائرة دوراً كبيراً في مطاردة وتصفية الكثير منهم، حتى صار ذلك سبباً في اختفاء آثارهم وضياعها، بل وتراكم الأساطير حولها.

وبذلك تقف على ضعف وركاكة ما ذكره المستشرق آدم متز في حق كلام الشيعة:

«أمّا من حيث العقيدة والمذهب، فإنّ الشيعة هم ورثة المعتزلة، ولابدّ أن يكون قلّة اعتداد المعتزلة بالأخبار المأثورة ممّا لائم أغراض الشيعة ولم يكن للشيعة في القرن الرابع مذهب كلامي خاص بهم»[1].

إنّ الشيعة منذ بكرة أبيهم كانوا مقتفين أثر أئمتهم، ولم يكونوا ورثة للمعتزلة ولا لغيرهم، وإنّما أخذت المعتزلة أُصول مذهبهم عن أئمّة أهل البيت، كما هو واضح للجميع، بل والمعروف كثرة المناظرات بين الشيعة

١ـ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تعريب محمّد عبد الهادي أبو ريدة ١/ ١٠٦ الطبعة الثالثة.

والمعتزلة منذ عصر الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ وإلى عصر المفيد وما بعده.

نعم ما أضعف ما ذهب إليه هذا المستشرق، وفي ذلك دلالة واضحة على سطحية الآراء التي يذهب إليها الغرباء في الحكم على عقائد المسلمين، ولسنا نلومه بقدر ما نلوم به اخواننا المسلمين ومفكريهم الذين يستندون في كثير من مذاهبهم على أقوال هؤلاء وتخرصاتهم، حتى أنّ الشيخ المفيد وضع كتباً في نقد المعتزلة، كما وضع قبلهم بعض أئمّة المتكلّمين من الشيعة ردوداً على المعتزلة، فكيف يكون الشيعة ورثة للمعتزلة، نعم أنّ القائل خلط مسألة الاتّفاق في بعض المسائل بالتبعية والاقتفاء، فالشيعة والمعتزلة تتفقان في بعض الأُصول، لا أنّ أحدهما عيال على الآخر.

١٣ـ قدماء الشيعة والعلوم الكونية:

لم يكن اتّجاه الشيعة مختصّاً بالعلوم العقلية كالكلام والفلسفة والمنطق فحسب، بل امتدّ نشاطهم وحركتهم الفكرية إلى العلوم الرياضية، والكونية، فتجد هذا النشاط بارزاً في مؤلّفاتهم طيلة القرون الماضية، ونحن نأتي هنا بذكر موجز عن مشاهير علمائهم ومؤلّفاتهم في القرون الأُولى تاركين غيرهم للمعاجم:

١ ـ هشام بن الحكم (المتوفّى ١٩٩هـ)، له آراء في الأعراض كاللون والطعم والرائحة، وقد أخذ منه إبراهيم بن سيار النظام، وحاصل هذا الرأي أنّ الرائحة جزئيات متبخرة من الأجسام تتأثر بها الغدد الأنفية، وأنّ

الأطعمة جزئيات صغيرة تتأثر بها الحليمات اللسانية [١].

٢ـ إنّ بيت آل نوبخت بيت شيعي عريق، فقد قاموا بترجمة الكثير من كتب العلوم والمعرفة من اللغة الفارسية إلى العربية، كما برع منهم من له باع طويل في كثير من العلوم، ومنها العلوم الكونية.

قال ابن النديم: آل نوبخت معروفون بولاية علي وولده.

وقال الأفندي في رياض العلماء: بنو نوبخت طائفة معروفة من متكلّمي الإمامية منهم:

ألف ـ أبو الفضل بن نوبخت، قال ابن النديم: كان في خزانة الحكمة لهارون الرشيد، وقال ابن القطفي في تاريخ الحكماء: إنّه مذكور مشهور من أئمّة المتكلّمين وذُكر في كتب المتكلّمين. وكان في زمن هارون الرشيد وولاّه القيام بخزانة كتب الحكمة، وهو من متكلّمي أُواخر القرن الثاني.

ب ـ ولده إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت، من متكلّمي القرن الثالث.

ج ـ يعقوب بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت، متقدم في الحكمة والكلام والنجوم [٢].

٣ـ أبو علي أحمد بن محمّد بن يعقوب بن مسكويه، من أعيان الشيعة

١ـ عبد الله نعمة: فلاسفة الشيعة ٥٦.

٢ـ العاملي: أعيان الشيعة ١/ ١٣٥.

وأعلام فلاسفتهم، صنّف في علوم الأوائل، وله تعليقات في المنطق، ومقالات جليلة في أقسام الحكمة والرياضة [١].

٤ـ جابر بن حيان، ويعد من أشهر علماء الشيعة وأقدمهم الذين برزوا في علم الكيمياء، وهو أوّل من أشار إلى طبقات العين قبل «يوحنا بن ما سويه» (المتوفّى عام ٢٤٣هـ) وقبل حنين بن إسحاق (المتوفّى عام ٢٦٤هـ) وأوّل من أثبت امكان تحويل المعدن الخسيس إلى الذهب والفضة، فلم تقف عبقريته في الكيمياء عند هذا الحد، بل دفعته إلى ابتكار شيء جديد في الكيمياء فأدخل فيها ما سمّاه بعلم الميزان، والمقصود منه معادلة ما في الأجسام والطبائع، وجعل لكل جسم من الأجسام، موازين خاصة [٢]وقد أُلّفت حول جابر وعبقريته كتب كثيرة، فمن أراد فليرجع إليها، وقد اتّفق الكل على أنّه تلميذ الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ.

٥ـ الشريف أبو القاسم علي بن القاسم القصري، وهو من علماء القرن الرابع، ذكره ابن طاووس في فرج المهموم في عداد منجّمي الشيعة [٣].

وهذه نماذج من علماء الشيعة في الطبيعيات والفلكيات ، وأمّا المتأخرون، فحدّث عنهم ولا حرج، وقد أتى بقسم كبير منهم الشيخ عبد الله نعمة في كتابه «فلاسفة الشيعة» فمن أراد فليرجع إليه، غير أنّا نذكر هنا المحقّق الطوسي الذي له حقّ على الأُمّة جمعاء، والذي تقول في حقّه

١ـ محمّد باقر الخوانساري: روضات الجنات ١/ ٢٥٤.

٢ـ فلاسفة الشيعة ١/ ٥٧.

٣ـ فرج المهموم.

المستشرقة الألمانية:

«وحصل نصير الدين الطوسي على مرصده، فكان معهداً للأبحاث لا مثيل له، وزوّده بالآلات الفلكية التي زادت في شهرة المعهد، ورفعت مكانته ... ويحكى أنّ زائراً قصد ابن الفلكي نصير الدين في مرصده في مراغة، فلمّا رأى الآلات الفلكية المتنوّعة ذُهل، وقد ازداد دهشة حين رأى «المحلقة» ذات الخمس حلقات والدوائر من النحاس: أولاها: تمثل خط الطول الذي كان مركّزاً في الأسفل، وثانيتها: خطّ الاستواء، وثالثتها: الخطّ الاهليلجي، ورابعتها: دائرة خطّ الأرض، وخامستها: دائرة الانقلاب الصيفي والشتوي، وشاهد أيضاً دائرة السمت التي يمكن للمرء بواسطتها أن يحدّد سمت النجوم، أي الزاوية الناتجة على خطّ أُفقي ثابت وخطُ أُفقي آخر صادر عن كوكب في السماء.

وتقول أيضاً: إنّ نصير الدين أحضر إلى مكتبة المعهد أربعمائة ألف مجلّد كانت قد سرقت من مكتبات بغداد وسوريا وبلاد بابل، وقد استدعى علماء ذوي شهرة طائرة من اسبانيا ودمشق وتفليس والموصل إلى مدينة مراغة لكي يعملوا على وضع الازياج بأسرع وقت يمكن»[1].

ويناسب في المقام ذكر اجمالي عمّا قدّموا من الخدمة في مجال الجغرافية وعلم البلدان فنقول:

١ـ السيدة زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب ١٣٣ والصحيح أن يسمى: شمس الإسلام.

الجغرافية وتقويم البلدان:

نذكر في المقام رحّالتين طافا البلاد الإسلامية وكتبا ما يرجع إلى جغرافية البلدان، وقد صار كتاباهما أساساً للآخرين:

١ـ أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، المعروف باليعقوبي، المتوفّى في أُواخر القرن الثالث، فهو أوّل جغرافي بين العرب، وصف الممالك معتمداً على ملاحظاته الخاصة، ومتوخّياً قصد ما أراد من وصف البلد وخصائصها، وهو يقول عن نفسه: إنّه عنى في عنفوان شبابه، وحدّة ذهنه، بعلم أخبار البلدان ومسافة ما بين كل بلد وبلد، لأنّه سافر حديث السن، واتّصلت أسفاره، ودام تغرّبه، وقد طاف في بلاد المملكة الإسلامية كلّها، فنزل أرمينية، وورد خراسان، وأقام بمصر والمغرب، بل سافر إلى الهند وكان متى لقي رجلاً سأله عن وطنه ومصره، وعن زرعه ما هو؟ وساكنيه من هم؟ عرب أو عجم؟ وعن شرب أهله ولباسهم ودياناتهم ومقالاتهم، من غير أن يلحقه من ذلك ملال ولا فتور، وقد وصف المملكة الإسلامية مبتدئاً ببغداد وصفاً منظّماً مع اصابة جديرة بالثقة والاعجاب [1].

٢ـ أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي(المتوفّى ٣٤٦هـ) فقد ألّف في ذلك المضمار كتابه «مروج الذهب» و «معادن الجوهر» وكتابه الآخر «التاريخ في أخبار الأُمم من العرب والعجم» وكتابه الثالث «التنبيه والاشراف» فقد اشتمل وراء التاريخ على الجغرافية وتقويم البلدان، وقد جرّه حُبّه للاستطلاع السفر إلى بلاد بعيدة، فكتب ما رآه وشاهده.

١ـ آدم متز: الحضارة الإسلامية ٢/ ٣٤ وكتاب اليعقوبي في الجغرافية هو كتاب «البلدان» المنتشر

في بلدان الشيعة وأماكن تواجدهم

يمثل الشيعة شريحة كبيرة من المجتمع الإسلامي الكبير المتوزّع في بقاع العالم المختلفة، حيث ساهموا كما أسلفنا مع اخوانهم المسلمين في بناء الحضارة الإسلامية، واقامة صرح الدين الحنيف، ونشره في أصقاع المعمورة، وسنحاول في بحثنا هذا استعراض تواجد الشيعة في بلدان العالم مع ذكر مختصر عن جوامعهم ومعاهدهم ودورهم وأعدادهم، لكي يكون القارئ الكريم على تصوّر واضح عنهم.

بلدان الشيعة:

ينتشر الشيعة في جميع أنحاء العالم بنسب مختلفة، وربّما تعد بعض البلدان معقل الشيعة ومزدحمها حيث يكون المذهب السائد فيها هو مذهب التشيع، في حين تتفاوت هذه النسبة في بلدان أُخرى. وإليك أسماء بعضها وهي إيران والعراق، وسوريا، والسعودية، وتركيا، وأفغانستان، والباكستان، والهند، واليمن، ومصر، والامارات العربية المتّحدة، والبحرين، والكويت، ومسقط، وعمان، والتبت، والصين، وآذربيجان، وطاجيكستان، وباقي الجمهوريات المتحرّرة بانحلال الاتحاد السوفيتي، وماليزيا، وأندونيسيا، وسيلان، وتايلند، وسنغافورة، وشمال أفريقيا، والصومال، والأرجنتين، وبريطانيا، وألمانيا، وفرنسا، وألبانيا، والولايات المتّحدة، وكندا وغيرها من

الدول المختلفة التي يضيق المجال بحصرها.

ولا بأس بالإيعاز إلى خصوصيات بعض البلدان إذ فيه تسليط لبعض الضوء للتعرّف على ماضي التشيّع وما لاقه أتباعه من العدوان والويلات والمصائب.

التشيّع حجازي المحتد والمولد:

التشيّع حجازي المحتد والمولد، إذ فيه نشأ، وفي تربته غرست شجرته ثمّ نمت وكبرت، فصارت شجرة طيّبة ذات أغصان متّسقة وثمار يانعة. وفيه حثّ النبيّ الأكرم ﷺ على ولاء الإمام علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ وسمّى أولياءه شيعة، وحدّث بحديث الثقلين، وجعل أئمة أهل البيت قرناء الكتاب في العصمة ولزوم الاقتفاء والطاعة، وفيه رقى النبيّ ﷺ المنبر الذي صنعوه من رحال الإبل وأخذ بيد وصيّه وولي عهده عليّ المرتضى وحمد الله وأثنى عليه وقال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» فقالوا: اللّهمّ بلى، ولما أخذ من الجمع المحتشد الإقرار بأولويته على النفس والنفيس عرَّف عليّاً خليفة عنه وقال: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه» ونزل من المنبر ثمّ نزلت آيات من الذكر الحكيم تشير إلى هذه البيعة وتؤكدها، ومن ثمّ تبودلت التهاني والتحيّات بين الإمام والصحابة [1].

---

١ ـ لقد أفرد علماء الإمامية كتباً كثيرة أشاروا فيها إلى بيعة الغدير التي حدثت بعد عودة رسول الله ﷺ والمسلمين من حجة الوداع، وقد بسطوا القول فيها واعضدوا بالأدلّة القوية والثابتة، كما أنّ كتب أهل السنّة حافلة بهذا الخبر تصريحاً أو اشارة إليه، فمن شاء فليراجع.

وقد أشار إلى بعض ما ذكر مؤلّف خطط الشام وقال: «إنّ النبيّ ﷺ هو الذي حثّ على ولاء علي وأهل بيته ـ عليهم السلام ـ وهو أوّل من سمّى أولياءه بالشيعة، وفي عهده ظهر التشيّع وسمّى جماعة بالشيعة»[١].

ولما ارتحل النبيّ الأكرم ﷺ إلى دار البقاء تناسى أُولوا القوة والمنعة من الصحابة عهد النبيّ الأكرم ﷺ فحالوا بين النبيّ ﷺ وأُمنيته كما حالوا بين أُمّته وإمامها، فتداولوا كرة الخلافة بينهم، وأخذوا بمقاليد الحكم واحداً بعد آخر، والإمام منعزل عن الحكم، لا عمل له إلاّ هداية الأُمّة وارشادها بلسانه وبيانه وقلمه وبنانه.

ولقد كان الذي دعا علياً إلى السكوت والانحياز، هو مشاهدة ظاهرة الردّة الطارئة على المجتمع الإسلامي عن طريق مسيلمة الكذاب، وطليحة ابن خويلد الأفّاك، وسجاح بنت الحرث الدجّالة، وأتباعهم الرعاع الذين شكّلوا على الدين الفتي خطراً جدياً كان من الممكن أن يؤدي إلى محق الإسلام وسحق المسلمين. ويحدّث عن هذه الحقيقة الإمام في رسالته التي أرسلها مع مالك الأشتر إلى أهل مصر، حيث يقول فيها: «فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمّد ﷺ فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم»[٢].

رأى الإمام أنّ صيانة الإسلام وردّ عادية الأعداء تتوقّفان على المسالمة والموادعة، فألقى حبل الخلافة على غاربها، تقديماً للأهم على المهمّ، وتبعته

١ـ محمد كرد علي: خطط الشام ٥/ ٢٥١.

٢ـ الشريف الرضي: نهج البلاغة قسم الكتب برقم ٦٢.

شيعته صابرين على مضض الحياة ومرّها.

بقي الإمام منعزلاً عن الحكم قرابة ربع قرن إلى أن قتل عثمان في عقر داره، وانثال الناس إلى دار علي من كلّ جانب مجتمعين حوله كربيضة الغنم، يطلبون منه القيام بالأمر وأخذ مقاليد الحكم، وفيهم شيعته المخلصون الأوفياء، فلم يرَ بدّاً من قبول دعوتهم لقيام الحجة بوجود الناصر(١).

ولما نكث الناكثون البيعة، وقادوا حبيبة رسول الله ﷺ «عائشة» معهم إلى البصرة، ارتحل الإمام بأنصاره وشيعته إلى العراق إلاّ قليلاً بقوا في الحجاز لقلع مادة الفساد قبل أن تستفحل، ولما قلع عين الفتنة، استوطن الإمام الكوفة، واستوطنها معه شيعته، وصارت الكوفة عاصمة التشيّع، ومعقله، وفيها نما وأينع وأثمر ومنها انحدر إلى سائر البلدان، بعد ما كان الحجاز مهبط التشيّع ومغرسه ومحتده. فكان حجازي المحتد والمغرس، عراقي النشوء والنمو، ولم يكن يوم ذاك يتظلّل في ظلال التشيّع إلاّ عربي صميم، من عدنانيّ وقحطانيّ، ولم يكن بينهم فارسيّ ولا بربريّ الأصل ولا شعوبيّ العقيدة يمقت العرب.

وهكذا فإنّا يمكننا القول بأنّ مهد التشيّع الأوّل كان في أرض الحجاز الطيّبة ومنها درج واشتد حتى تسامق وتطاول وأصبح له وجود في كل بقاع المعمورة.

ولا زال الشيعة يعيشون مع اخوانهم المسلمين في مكّة المكرمة،

١ـ إشارة إلى قوله ـ عليه السلام ـ: «أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر ... لألقيت حبلها على غاربها» نهج البلاغة، الخطبة ٣.

والمدينة المنورة، وحضرموت ، ونجران، وغيرها، كما تتواجد في أنحاء من أرض الحجاز الكثير من القبائل العربية الشيعية أمثال بنو جهم، وبنوعلي، وغيرهم.

وأمّا المنطقة الشرقية كالإحساء والقطيف والدمام، فأكثر سكّانها من الشيعة.

التشيّع عراقي النشوء والنمو:

قد عرفت أنّه لما غادر الإمام المدينة المنوّرة متوجّهاً إلى العراق واستوطن الكوفة هاجر كثير من شيعته معه واستوطنوا العراق، فصار ذلك أقوى سبب لنشوء التشيّع ونموّه في العراق، ولا سيما في الكوفة، فصارت معقل الشيعة، ولما قضى الإمام نحبه حاولت السلطة الأموية وعمّالها استئصال التشيّع منها بأبشع صورة مستخدمة في ذلك شتى الأساليب الإجرامية الرهيبة من دون أي وازع من ضمير.

فبالرغم من أنّ العراق وأخص منها الكوفة كان علوي النزعة هاشمي الولاء، إلاّ أنّ الحسين، ابن الإمام علي ـ عليهما السلام ـ قتل بسيف الكوفيين، وسقط عطشاناً وحوله أجساد أبنائه وأبناء أخيه وأصحابه،إلاّ أنّ ذلك لا يدلّ على إنسلاخهم عن التشيّع، لأنّ الشيعة يوم ذاك كانوا بين مسجون في زنزانات الأمويين، أو مرعوب متخاذل فاقد للتصميم والحمية، أو منتظر لما تؤول إليه الأمور، أو ناصر إلتحق بالحسين في أحلك الظروف. هؤلاء هم الشيعة.

وأمّا الذين شاركوا في قتل الحسين فلم يكونوا من الشيعة أبداً ، بل كانوا أتباع الأمويين والمنضوين تحت راياتهم. فلما قتل الحسين أثار قتله شجون الشيعة، وبقوا يتحيّنون الفرص للانقضاض على الحكم الأموي الفاسد وأتباعه، حتى تهيّأت الفرصة عند خروج المختار من سجنه، فالتفوا حوله في ثورة كبيرة اقتلعت جذور الأمويين واقتصت من أعوانهم قتلة: الحسين وأهل بيته وأصحابه.

وقد حاول الأمويون جعل العراق أموياً، وبذلوا جهوداً حثيثة في سبيل هذا الأمر، إلاّ أنّ جهودهم ذهبت أدراج الرياح، وبقي العراق هاشمياً وعلوياً، حتى أنّ دعوة العباسيين نجحت في بداية الأمر في العراق في ظل طلب ثأر الحسين وأهل بيته، وكانت الدعوة للرضا من آل محمّد ﷺ.

لقد تبلور التشيّع بعد حادثة الطف بقليل واتّسع نطاقه وصار العراق مركزه، وكانت القوافل من أنحاء العراق وغيره من بلاد المسلمين تؤمّ قبر الحسين وأصحابه، فصارت مشاهد أهل البيت فيها معمورة بالزائرين والمجاورين، وكانت المآتم تقام في حواضرها تخليداً لذكرى استشهاد الإمام الحسين المفجع، واتّخذت الشيعة قرب مشاهد أئمّتهم، حوزات علمية ومعاهد فكرية، فازدهر العراق بعمالقة الفكر، وأساتذة الفقه، وأساطين الكلام، وأعان على نشر التشيّع ونموّه في العراق نشوء دول وإمارات للشيعة في القرن الرابع وما بعده.

يقول الشيخ المظفر [1]: وساعد على نمو التشيّع وانتشاره في العراق،

١ـ أنظر: محمد حسين المظفر: تاريخ الشيعة ٦٩ـ٧١ و ١١٠ـ١١١.

أن تكوّنت من الشيعة فيه سلطنات دول و إمارات كسلطنة آل بويه، و إمارة بني مزيد في الحلّة والنيل، وبني شاهين في البطائح، وبني حمدان وآل المسيّب في الموصل، ونصيبين، وكدولة بعض المغول أمثال محمّد خدابنده وابنه أبي سعيد، وأمّا محمود غازان فقد قيل بتشيّعه وهناك امارات عليه إلاّ أنّه لم يصارح به، وكدولة الجلائرية التي أسّسها الشيخ حسن الجلائري أحد قواد المغول وابن أُخت محمود غازان ومحمّد خدابنده، وكانت بغداد عاصمة ملكه، وكالدولة الصفوية التي ناصرت التشيّع ونشرته في البلاد بشتّى الطرق، فكأنّها هي دولة دينية تأسّست لنشر مذهب أهل البيت.

وأيّد مذهب التشيّع أيضاً أن انعقدت عدّة وزارات من رجاله، فقد استوزر السفاح أوّل ملوك بني العباس: أبا سلمة الخلال الكوفي الهمداني داعية أهل البيت، وقتله على التشيّع.

واستوزر المنصور: محمّد بن الأشعث الخزاعي.

واستوزر المهدي: أبا عبد الله يعقوب بن داود، وحبسه لتشيّعه، واستوزر الرشيد: علي بن يقطين، وجعفر بن الأشعث الخزاعي.

واستوزر المأمون : الفضل بن سهل ذا الرياستين لجمعه بين القلم والسيف، وقتله عندما أحسّ بميله إلى الرضا ـ عليه السلام ـ، واستوزر من بعده أخاه الحسن بن سهل.

واستوزر المعتزّ والمهتدي: أبا الفضل جعفر بن محمود الاسكافي.

واستوزر المقتدى: أبا شجاع ظهير الدين محمّد بن الحسين الهمداني، وعزله لتشيّعه.

واستوزر المستظهر: أبا المعالي هبة الدين بن محمّد بن المطلب، وعزله لتشيّعه، ثمّ أعاده على أن لا يخرج من مذهب أهل السنّة، ثمّ تغيّر عليه وعزله.

واستوزر الناصر والظاهر والمستنصر: مؤيد الدين محمّد بن عبد الكريم القمي من ذرية المقداد ـ رضوان الله عليه ـ.

واستوزر المستعصم آخر ملوك بني العباس: أبا طالب محمّد بن أحمد العلقمي الأسدي، وأقرّه هولاكو على الوزارة، ولما مات ـ رحمه الله ـ استوزر: ولده أبا الفضل عز الدين. إلى ما سوى هؤلاء.

وأمّا الإمارات، والقيادات، والكتابة، والخزانة، فما أكثرها، أمثال: امارة آل قشتمر، وآل أبي فراس الشيباني، وآل دبيس كما أشرنا إليهم.

وقيادة طاهر بن الحسين الخزاعي، وقيادة أولاده كابنه عبد الله، ومحمّد ابن عبد الله وغيرهما، وتولّيهم امارة هرات.

وكان عبد الله بن سنان خازناً للمنصور والمهدي والهادي والرشيد، وكان من ثقاة الرواة لأبي عبد الله الصادق ـ عليه السلام ـ، إلى ما يعسر استقصاؤه.

وكفاك برهاناً على أنّ التشيّع كان ضارباً أطنابه على بسيطة العراق، ما كان من نقابة الطالبيين في بغداد، فما أكثر ما كان يتولّاها الشيعة، أمثال الشريف الرضي وأبيه وابنه وأخيه المرتضى، وقد تولّوا المظالم أيضاً، وتولّى الشريف الرضي وأبوه أيضاً اماره الحاج، كما تولّاها ثلاث عشرة حجة حسام

الدين أبو فراس جعفر بن أبي فراس الشيباني.

وتولّى آل طاووس نقابة الطالبيين في العراق عامة، تولّاها منهم السيدان العلمان رضي الدين وغياث الدين عبد الكريم [١].

كما تولّى الأوقاف في العراق وغيرها ممّا كان تحت حكم المغول الخواجا نصير الدين الطوسي -طاب ثراه-، وعندما قبض عليها، أقام ببغداد، وتصفّح الأوقاف، وأدار أخبار الفقهاء والمدرسين، وقرر القواعد في الوقف، وأصلحها بعد اختلالها [٢]، ومن بعده تولّاها ابنه أحمد فخر الدين، ولما وليها حذف الحصة الديوانية في الوقوف، ووفرت على أربابها [٣].

وهكذا فإنّ الاستقراء الموضوعي لسكان العراق يكشف بوضوح التفوق الكبير في عدد الشيعة على ماعداهم، فجنوب العراق يغلب على سكّانه الشيعة بشكل واضح جداً، وأما وسطه فتتركز شيعته في أغلب محافظاته أمثال محافظة النجف وكربلاء وبابل وواسط والسماوة والديوانية وغيرها، وأما شمال العراق فتقل نسبة الشيعة فيه بشكل ملحوظ، إلاّ أنّ هناك أعداداً لا بأس بها في محافظتي الموصل وكركوك.

١ـ أُنظر: الحوادث الجامعة، في حوادث عام ٦٦١ هـ وما ذكره فيها من تولّي السيد رضي الدين بن طاووس نقابة الطالبيين بالعراق، وذكر أنّ وفاته عام ٦٦٤ هـ، وفي حوادث عام ٦٩٣هـ قال: وفيها توفّي النقيب غياث الدين عبد الكريم بن طاووس.

٢ـ أُنظر: تاريخ مختصر الدول، للعبري ٥٠٠، والحوادث الجامعة، في حوادث عام ٦٧٢هـ.

٣ـ أُنظر: الحوادث الجامعة، في حوادث عام ٦٨٣هـ.

الشيعة في اليمن:

دخل التشيّع في اليمن بعد أن أسلموا على يد علي ـ عليه السلام ـ ، حيث يحدثنا التاريخ: انّ رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى اليمن ليدعوهم إلى الإسلام، فأقام هناك ستة أشهر فلم يجيبوه إلى شيء. فبعث النبيّ ﷺ علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ وأمره أن يرجع خالد بن الوليد ومن معه.

قال البراء: فلمّا انتهينا إلى أوائل اليمن بلغ القوم الخبر فجمعوا له فصلّى بنا علي الفجر، فلما فرغ صفّنا صفّاً واحداً ثمّ تقدّم بين أيدينا فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان كلّها في يوم واحد، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ ، فلما قرأ كتابه خرّ ساجداً ثمّ جلس فقال: «السلام على همدان، السلام على همدان» ثمّ تتابع أهل اليمن على الإسلام [1].

فكان تمسّكهم بعرى الإسلام على يد علي ـ عليه السلام ـ ، وصار هذا أكبر العوامل لصيرورتهم علويين مذهباً ونزعة. وفي ظل هذه النزعة ضحّوا بأنفسهم ونفيسهم بين يدي علي ـ عليه السلام ـ في حروبه.

أضف إليه أنّهم سمعوا من المصطفى ﷺ فضائل إمامهم ومناقبه غير مرّة، وهذا ممّا زادهم شوقاً وملأ قلوبهم حبّاً وولاءً له، فقد روى المحدثون: إنّ اليمانيين طلبوا من النبيّ ﷺ أن يبعث إليهم رجلاً يفقّههم في الدين ويعلّمهم السنن ويحكم بينهم بكتاب الله، فبعث النبيّ ﷺ علياً وضرب على صدره وقال: «اللّهمّ اهد قلبه، وثبّت لسانه». قال الإمام علي

١ـ ابن الأثير: الكامل ٢/ ٣٠٠ في حوادث السنة العاشرة، دار صادر.

ـ عليه السلام ـ: «فما شككت في قضاء بين اثنين حتى الساعة»(١).

بقي الإمام علي ـ عليه السلام ـ بينهم مدّة يفقّههم في الدين، ويقضي بكتاب الله، ويحلّ المشاكل القضائية، بما تنبهر به العقول.

ومن هنا تتوضّح الصورة عن حقد الأمويين على أهل اليمن وقسوتهم في تعاملهم معهم، كما فعل ذلك بسر بن ارطاة عند حملته على اليمن، حيث لم يترك محرماً إلاّ استحلّه، ولا جريمة إلاّ فعلها فلحقته اللعنة في الدارين.

نعم إنّ شيعة أهل اليمن كانوا من خلّص شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ، فلا غرو ولا غرابة أن يذكرهم في شعره بقوله:

فلو كنت بوّاباً على باب جنّة ... لقلت لهمدان ادخلي بسلام

وممّا يدل على فرط حبّهم وولائهم لعلي ـ عليه السلام ـ ما قاله سيدهم سعيد بن قيس الهمداني ـ رضوان الله عليه ـ في وقعة الجمل:

قل للوصي أقبلت قَحطانُها ... فادع بها تكفيكها هَمدَانُها

هُم بنوها وهُم اخوانها (٢)

نعم رحل يحيى بن الحسين الرسي العلوي من العراق إلى اليمن في القرن الثالث ودعا إلى المذهب الزيدي في ظل ولاء أهل البيت وأخذ بمجامع القلوب وانتشرت دعوته فانتموا إلى زيد، فالشيعة إلى اليوم في

١ـ كنز العمال ٦/ ١٥٨ و ٣٩٢ باب فضائل علي.
٢ـ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١/ ١٤٤ـ١٤٥.

اليمن زيديوا المذهب يهتفون في الاذان حي على خير العمل».

ويوجد هناك شيعة إماميون قليلون.

كانت الحكومة منذ دعوة الرسي العلوي بيد الزيدية، وكان آخر حاكم مقتدر زيدي يحكم البلاد هو حميد الدين يحيى المتوكّل على الله، ولما اغتيل هو وولداه الحسن والمحسن، وحفيده الحسين بن الحسن بيد بعض وزرائه عام ١٣٦٧ هـ في ظل مؤامرة أجنبية، قام مكانه ولده الإمام بدر الدين، ولم يكن له نصيب من الحكم إلاّ مدّة قليلة حتى أُزيل عن الحكم عن طريق انقلاب عسكري، وبذلك انتهى الحكم الزيدي في اليمن، ولكن اليمنيين بقوا على انتمائهم إلى التشيّع.

الشيعة في سوريا ولبنان:

ظلّ التشيع سائداً في الشام وحلب وبعلبك وجبل عامل منذ القرن الأوّل إلى يومنا هذا، ومن المعروف أنّ أبا ذر الصحابي الجليل هو الذي بذر بذرته، أو غرس شجرته، وذلك عندما نفاه عثمان من المدينة إلى الشام، وكان يجول في الشام وضواحيه وهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، من دون أن يخاف قوّة أو سطوة، أو إهانة أو قسوة، وطبع الحال يقتضي أن يبوح بما انطوت عليه جوانحه من الولاء لعلي وأهل بيته، يدعو له على القدر المستطاع، فنمت بذرة التشيّع في ظل التستر والتقية، وأمّا اليوم فالشيعة مجاهرون ولهم شأن عند الدولة، ولهم مظاهر في الشام وضواحيه، ترى اسم علي والحسين مكتوبين تحت قبّة المسجد الأموي، وفي الجانب الشرقي مسجد خاص باسم رأس الحسين، وفي نفس البلد قباب مشيّدة لأهل

البيت، وفي الوقت نفسه لا تجد أثراً لمعاوية [1] ويزيد والحكام الأمويين. إنّ في ذلك لعبرة لأولي الألباب.

قويت شوكة التشيّع في سوريا بعد قيام دولة الحمدانيين في الشام والجزيرة، وكان لسيف الدولة أيادي بيضاء في رفع منارة التشيّع، كيف وأبو فراس صاحب القصيدة الميمية هو ابن عمّه الذي يقول:

الحق مهتضم والدين مخترم ... وفيء آل رسول الله مقتسم

وأمّا جبل عامل فقد انتشر فيه التشيّع منذ دخل إلى الشام ووجد في تلك البقاع مرتعاً خصباً ونفوساً متلهفة، فتعلق به أهله تعلّقاً شديداً حتى لقد برز منهم العديد من العلماء الكبار طبقوا البلاد شهرة وصيتاً أخص منهم بالذكر:

١ـ محمّد بن مكي المعروف بالشهيد الأوّل (٧٣٤ ـ ٧٨٦ هـ) وكان إماماً في الفقه ولكنّه صلب بيد الجور، ثمّ رجم، ثمّ أُحرق، بذنب أنّه شيعي موال لأهل البيت ولا يفتي بفتوى أئمّة المذاهب الأربعة.

وله كتب فقهية أشهرها كتاب اللمعة الدمشقية، ألّفه في السجن خلال اسبوع ولم يكن عنده من الكتب الفقهية سوى المختصر النافع للمحقّق الحلّي (٦٠٠ـ ٦٧٦هـ) .

٢ـ زين الدين بن علي الجبعي (٩١١ـ٩٦٦هـ) المعروف بالشهيد الثاني صاحب الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، والمسالك في شرح

١ـ نعم في داخل البلد بيت يقال فيه قبر معاوية لا يزوره أحد إلاّ للعبرة والاطلاع على ما آلت إليه أعمالهم من مصير بائس بعد مماتهم.

الشرائع الذي يتضمّن مجموع الكتب الفقهية مع ذكر المستند والدليل. وقد امتدت إليه أيدي الظلم كسلفه الشهيد الأول، حيث اعتقل بأمر الخليفة العثماني ثمّ قتله معتقلوه قرب شاطئ البحر وفصل رأسه عن جسده وأُرسل إلى السلطان.

وتا الله إنّها لجرائم بشعة تقشعر منها الأبدان، ويندى لها جبين البشرية خجلاً، فما معنى هذه القسوة المتناهية في قتل الشيعة وعلمائها، وإذا كان هذا مصير الشيعة من قبل الحكومات المتعاقبة والظالمة فهل يلومهم أحد على اتخاذهم التقية حجاباً لحقن دمائهم وحفظ أعراضهم؟! لا اعتقد أن يلومهم عليها عاقل، لأنّ الملام من دفعهم إليها لا هم.

أقول: ورغم هذا الاسراف في مطاردة الشيعة وقتلهم، فقد ظهر في جبل عامل بعد هذين العالمين الجليلين، علماء فضلاء وفقهاء عظام، ولم يزل منار التشيّع مرتفعاً ولواءه خفّاقاً بهم، ولقد تحمّلوا عبر القرون وخصوصاً في عهد السلطة العثمانية المصاعب الجسام والتي ذكرها التاريخ في صفحات سوداء لا تنسى، ولا سيما في عهد أحمد باشا الجزّار، ممثّل الدولة العثمانية في بلاد الشام من (١١٩٥ـ١١٩٨ هـ) .

ولقد ألّف الشيخ الحر العاملي كتاباً أسماه أمل الآمل في علماء جبل عامل طبع في جزئين، واستدرك عليه السيد الجليل حسن الصدر.

وأمّا بالنسبة إلى بعلبك فهي من المدن الشيعية العريقة، والتي ظهر بها التشيّع منذ دخل بلاد الشام وراج في ظلّ الدولة الحمدانية، ووجد في نفوس أهلها خير موطن، فاحتضنوه وتمسّكوا به.

الشيعة في مصر:

دخل التشيّع مصر في اليوم الذي دخل فيه الإسلام، ولقد شهد جماعة من شيعة عليّ ـ عليه السلام ـ فتح مصر، منهم: المقداد بن الأسود الكندي، وأبو ذر الغفاري، وأبو رافع، وأبو أيوب الأنصاري، وزارها عمّار ابن ياسر في خلافة عثمان [١]. وهؤلاء ما كانوا يبطنون فكرة التشيّع التي كانوا يؤمنون بها منذ عهد رسول الله ﷺ.

ولأجل ذلك حين قتل عثمان، باجهاز المصريين عليه، بايعوا علياً كما بايع أهلها طوعاً ورغبة.

لما بعث علي ـ عليه السلام ـ قيس بن سعد أميراً على مصر بايع أهلها طوعاً، إلاّ قرية يقال لها خربتاء [٢].

كان هذا نواة لمذهب التشيّع في تلك البلاد، وإن تغلب عليها الأمويون بعد ذلك حين قَتَلَ عمرو بن العاص ومعاوية بن حديج ـ اللذين أرسلهما معاوية بن أبي سفيان إلى مصر ـ والي عليّ ـ عليه السلام ـ على مصر محمّد ابن أبي بكر بشكل بشع، ثمّ جعلوا جثّته في جيفة حمار وأحرقوها بالنار، وهو اسلوب يدل على انحراف كبير عن الدين وانسلاخ عن أبسط معاني الإنسانية، ولكن للحق دولة وللباطل جولة، فهذه الأعمال الإجرامية وما

١ـ الخطط المقريزية ٢/ ٧٤.

٢ـ المصدر نفسه: ٤/ ١٤٩، الجزري: الكامل ٣/ ٦١ حوادث عام ٣٦.

ارتكبه العباسيون من الجرائم صارت سبباً لابتعاد الناس عن السلطات المتعاقبة الظالمة وتعاطفهم مع العلويين واحتضانهم لهم، ويظهر ذلك بوضوح عند قيام الدولة الفاطمية الشيعية هناك والتفاف المسلمين حولها، والتي كان لها الدور الأكبر في انتشار التشيّع واعتناق المسلمين له في شمال افريقيا، حيث امتد نفوذها وسلطانها إلى الجزائر والمغرب وتونس وليبيا، وكذا إلى السودان جنوب مصر.

لقد اعتنق المصريون التشيّع برغبة وجهروا بحيّ على خير العمل، وتفضيل عليّ على غيره، كما جهروا بالصلاة على النبيّ وآله ﷺ.

لقد قامت في عهد الفاطميين مراسم عاشوراء، وعيد الغدير، ولم تزل هذه المراسم إلى يومنا هذا. وكان التشيّع مخيّماً على مصر في عهد الفاطميين وضارباً أطنابه في القرى والبلدان، لولا أنّ صلاح الدين يوسف الأيوبي أزال سلطتهم ومذهبهم من مصر بقوّة السيف والنار، والتاريخ يشهد على عظم الجرائم وقسوتها التي قام بها صلاح الدين وأتباعه في سبيل هذا الأمر. وهذه الصفحة من تاريخ مصر مليئة بالأسى والحزن، راح ضحيتها العديد من أتباع المذهب المحمدي، إلاّ أنّها لم تستطع أن تقضي عليه، فلا زال هناك الكثير من الشيعة ومن المتعاطفين روحياً معهم، والذين يعبّرون عن ذلك بوضوح في حرصهم على زيارة المشاهد المعروفة برأس الإمام الحسين -عليه السلام- ومرقد أخته السيدة زينب -رضوان الله عليها-.

الشيعة في إيران:

إنّ التشيّع هو المذهب الساحق في إيران من أوائل القرن العاشر (٩٠٥هـ) إلى يومنا هذا وذلك أنّ الدولة الصفوية الشيعية هي التي أشاعت التشيّع في إيران، وفي عصرها ثبّتت أركانه، وتعلّق به المسلمون تعلّقاً عظيماً، وتزايد عدد الشيعة بتقادم السنين، فلو بلغ عدد النفوس في إيران الإسلامية قرابة ستين مليوناً، فالأكثرية هم الشيعة، ولا يتجاوز عدد سائر الطوائف عن أربع ملايين نسمة، يرفل الجميع بثوب الاخوة الإسلامية والمحبّة والتفاهم في ظل العقائد العظيمة التي يتمسك بها الشيعة والتي تحدد علاقتهم بإخوانهم من سائر المذاهب الإسلامية، والتي كرسها قيام الجمهورية الإسلامية المباركة، بزعيمها الراحل الإمام الخميني ــ قدّس سرّه ــ والذي دعا إلى تقوية الترابط بين المذاهب الإسلامية المختلفة، وأمر باثبات أيام معيّنة خلال العام أُسميت باسبوع الوحدة، وعلى نفس خطاه واصل خلفه سماحة آية الله السيد علي الخامنئي تعهد شجرة الوحدة بتكافل جميع المسؤولين في الدولة الإسلامية المباركة، والتي يلمسها بوضوح كل من زار هذه الدولة أو مرّ بها.

ثمّ إنّ هنا أُموراً لا محيص عن طرحها وتحليلها لأنّها من المواضيع التي كثر فيها اللغط ، وقد أكثر المستشرقون وغيرهم فيها الصخب والهياج وهي:

١ـ ما هو السبب الحقيقي لدخول الفرس في الإسلام؟

٢ـ ما هو السبب الحقيقي لجنوحهم إلى آل البيت؟

٣ـ سببان مزعومان: الاصهار، وإرادة هدم الإسلام.

وإليك تحليل تلك النقاط:

١ـ ما هو السبب الحقيقي لدخول الفرس في الإسلام:

إنّ الفرس دخلوا في الإسلام كدخول سائر الشعوب، والعلّة في الجميع واحدة أو متقاربة، وحاصلها: أنهّم وقفوا على أنّ في هذه الشريعة الغرّاء من سمات العدل والمساواة، ورفض التمييز العنصري، والنظام الطبقي، وأنّ الناس فيه كأسنان المشط لا فضل لأعجمي على عربي ولا لعربي على أعجمي إلاّ بالتقوى، وكانت الثورة الإسلامية تحمل يوم تفجرها رايات العدل العظيمة، فكان ذلك هو الدافع المهم للشعوب للدخول في الإسلام، والانضواء تحت رايته، من غير فرق بين قوم دون قوم وشعب دون شعب.

٢ـ ما هو السبب الحقيقي لولائهم إلى آل البيت:

إنّ السبب الحقيقي لولائهم وجنوحهم إلى أهل البيت هو أنهم شاهدوا أنّ علياً وأهل بيته ـ خلافاً للخلفاء عامتهم ـ يكافحون فكرة القومية ويطبّقون المساواة، فأخذوا يتحنّنون إليهم حيناً بعد حين، وشبراً بعد شبر، فكان ذلك نواة لبذر الولاء في قلوب بعضهم، يرثه الأبناء من الآباء، وإن لم يكن الحب ـ يوم ذاك ـ ملازماً للقول بخلافتهم عن الرسول ﷺ وإمامتهم بعده، بل كان حبّاً وودّاً خالصاً لأسباب نفسية لا قيادية، وتدل على ذلك عشرات من القضايا نذكر بعضها:

١ـ روى الفضل بن أبي قرة عن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «أتت الموالي أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ فقالوا: نشكوا إليك هؤلاء العرب، إنّ رسول الله ﷺ كان يعطينا معهم العطايا بالسوية، وزوّج سلمان، وبلالاً

وصهيباً، وأبـوا علينا هـؤلاء، فقالوا: لا نفعـل ، فذهـب إليهم أمير المؤمنين -عليه السلام- فكلّمهم فيهم، فصـاح الأعاريب: أبينا ذلك يا أبـا الحسن، أبينا ذلك، فخرج وهو مغضب يجرّ رداءه وهو يقول: يا معشر الموالي إنّ هؤلاء قد صيّـروكم بمنـزلة اليهـود والنصارى، يتـزوّجون إليكـم ولا يزوّجـونكم، ولا يعطونكـم مثل مـا يأخذون، فاتَّـــجروا بـــارك الله لكـم، فانّي قـد سمعـت رسول الله ﷺ يقول: الرزق عشرة أجزاء، تسعة أجزاء في التجارة وواحدة في غيرها»[١].

٢- وروى أبو إسحاق إبراهيم بن محمّـد بن سعيد الثقفي في غاراته: عـن عبـاد بن عبـد الله الأسـدي، قـال: كنـت جـالساً يـوم الجمعـة، وعلي -عليه السلام- يخطب على منبر من آجر، وابن صوحـان جالس، فجاء الأشعث فجعـل يتخطـى النـاس فقال: يـا أمير المؤمنين غلبتنـا هـذه الحمـراء على وجهك، فغضـب، فقال ابن صـوحان: ليبين اليوم مـن أمر العرب مـا كان يخفـى، فقـال علي -عليه السلام-: «مـن يعذرني مـن هـؤلاء الضيـاطرة، يقبـل أحدهـم يتقلب على حشـاياه، ويهجّد قـوم لذكر الله، فيـأمرني أن أطـردهم فأكون من الظالمين، والذي فلق الحبـة وبرأ النسمة لقد سمعت محمّداً ﷺ يقول: ليضربنكم والله على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً».

قال مغيرة: كـان علي -عليه السلام- أميـل إلى الموالي وألطف بهم، وكـان عمر أشدّ تباعداً منهم[٢].

١- الكليني: الكافي ٥/ ٣١٨.

٢- الثقفي: الغارات ٣٤٠ طبـع بيروت، الحمـراء: الموالي، الضيـاطرة جمع الضيـاطر: الضخام الذين لا عناد عندهم.

٣ـ روى ابن شهر آشوب: لما ورد بِسبي الفرس إلى المدينة أراد عمر بيع النساء، وأن يجعل الرجال عبيد العرب، وعزم على أن يحملوا العليل والضعيف، والشيخ الكبير في الطواف وحول البيت على ظهورهم، فقال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ : «إنّ النبيّ ﷺ قال: أكرموا كريم قوم وإن خالفوكم، وهؤلاء الفرس حكماء كرماء، فقد ألقوا إلينا بالسلام، ورغبوا في الإسلام، وقد أعتقت منهم لوجه الله حقّي وحقّ بني هاشم» فقالت المهاجرون والأنصار: قد وهبنا حقّنا لك يا أخا رسول الله ﷺ فقال: «اللّهمّ فاشهد أنّهم قد وهبوا، وقبلت وأعتقت» ، فقال عمر: سبق إليها علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ونقض عزمتي في الأعاجم (١).

٤ـ روى الصدوق عن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ : قال: قال رجل له: إنّ الناس يقولون: من لم يكن عربياً صلباً، أو مولى صريحاً، فهو سفلي، فقال: «وأي شيء المولى الصريح»؟! فقال له الرجل: من ملك أبواه، فقال: «ولِمَ قالوا هذا»؟! قال: يقول رسول الله ﷺ مولى القوم من أنفسهم، فقال: «سبحان الله، أما بلغك أنّ رسول الله ﷺ قال: أنا مولى من لا مولى له، أنا مولى كل مسلم، عربيها وعجميها، فمن والى رسول الله ﷺ أليس يكون من نفس رسول الله ﷺ ؟ ثمّ قال: أيّهما أشرف، من كان من نفس رسول الله ﷺ أو من كان من نفس إعرابي جلف بائل على عقبيه؟ ثمّ قال: من دخل في الإسلام رغبة، خير ممن دخل رهبة، ودخل المنافقون رهبة، والموالي دخلوا رغبة» (٢).

١ـ ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ٤/ ٤٨.

٢ـ الصدوق: معاني الأخبار ٤٠٥.

٥ـ روى الفضل بن شاذان (المتوفى عام ٢٦٠ هـ) : أنّ عمر بن الخطاب نهى عن أن يتزوّج العجم في العرب وقال: لأمنعنّ فروجهنّ إلاّ من الأكفّاء [١].

٦ـ روى المفيد: أنّ سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ دخل مسجد رسول الله ﷺ ذات يوم فعظّموه وقدّموه وصدّروه اجلالاً لحقّه، وإعظاماً لشيبته، واختصاصه بالمصطفى ﷺ فدخل عمر فنظر إليه، فقال: من هذا العجمي المتصدّر فيما بين العرب؟ فصعد رسول الله ﷺ المنبر وخطب، فقال: «إنّ الناس من عهد آدم إلى يومنا هـذا مثل أسنان المشط، لا فضل للعربي على العجمي، ولا للأحمر على الأسود إلاّ بالتقوى، سلمان بحر لا ينزف، وكنز لا ينفذ، سلمان منّا أهل البيت، سلسل يمنح الحكمة ويؤتي البرهان» [٢].

٧ـ روى الثقفي في الغارات: إنّ امرأتين أتتا علياً ـ عليه السلام ـ عند القسمة، إحداهما من العرب، والأخرى من الموالي، فأعطى كل واحدة خمسة وعشرين درهماً، وكرّاً من الطعام، فقالت العربية: يا أمير المؤمنين! إنّي امرأة من العرب، وهذه امرأة من العجم، فقال علي ـ عليه السلام ـ: «إنّي لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني إسحاق» [٣].

٨ ـ روى المفيد عن ربيعة وعمارة وغيرهما: إنّ طائفة من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مشوا إليه عند تفرّق الناس عنه وفرار كثير

١ـ الفضل بن شاذان: الايضاح ٢٨٠.
٢ـ المفيد: الاختصاص ٣٤١.
٣ـ الغارات: ٣٤١.

منهم إلى معاوية، طلباً لما في يديه من الدنيا، فقالوا له: يا أمير المؤمنين اعط هذه الأموال، وفضّل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم، ومن يخاف خلافه عليك من الناس وفراره إلى معاوية.

فقال لهم أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ: «أتأمروني أن أطلب النصر بالجور؟! لا والله لا أفعل ما طلعت شمس ولاح في السماء نجم، ولو كانت أموالهم لي لواسيت بينهم، فكيف وإنّما هي أموالهم»[١].

٩ـ روى المبرد: قال الأشعث بن قيس لعلي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ وأتاه يتخطّى رقاب الناس وعلي على المنبر، فقال: يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك، قال: فركض على المنبر برجله، فقال صعصعة بن صوحان العبدي: ما لنا ولهذا؟ ـ يعني الأشعث ـ ليقولن أمير المؤمنين اليوم في العرب قولاً لا يزال يذكر، فقال علي: «من يعذرني من هذه الضياطرة، يتمرّغ أحدهم على فراشه تمرّغ الحمار، ويهجر قوم للذكر، فيأمرني أن أطردهم، ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً»[٢].

هذه الشواهد الكثيرة توقفنا على السبب الحقيقي لتوجّه الفرس والموالي إلى آل البيت، وأنّه لم يكن إلاّ لصمودهم في طريق تحقيق العدل والمساواة، والمكافحة ضد العنصرية والتعصب.

١ـ المفيد: المجالس ٥٧ طبعة النجف.

٢ـ الكامل: ٢/ ٥٣ طبع مصر سنة ١٣٣٩ هـ.

٣ـ سببان مزعومان: الاصهار، وإرادة هدم الإسلام:

أولاً: هل الاصهار كان سبباً للولاء:

روى الزمخشري في ربيع الأبرار وغيره: إنّ الصحابة جاءوا بسبي فارس في خلافة الخليفة الثاني كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد، فباعوا السبايا، وأمر الخليفة ببيع بنات يزدجرد فقال الإمام علي: «إنّ بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن» فقال الخليفة: كيف الطريق إلى العمل معهن؟ فقال: «يقوّمن ومهما بلغ ثمنهنّ قام به من يختارهنّ» فقوّمن فأخذهنّ علي فدفع واحدة لعبد الله بن عمر وأُخرى لولده الحسين وأُخرى لمحمد بن أبي بكر، فأولد عبد الله بن عمر: ولده سالماً، وأولد الحسين: زين العابدين، وأولد محمّد: ولده القاسم، فهؤلاء أولاد خالة، وأُمّهاتهم بنات يزدجرد [١].

وقد استند إلى هذه القصة أحمد أمين في فجر الإسلام، والدكتور حسن إبراهيم في التاريخ السياسي للإسلام [٢]، وذهبا إلى أنّ الاصهار صار سبباً لتشيّع الفرس.

لن ندخل في نقاش مع هذه القصة وأنّها هل هي صادقة أو ممّا وضعه أصحاب الأساطير، وكفانا في هذا الأمر ما ألّفه زميلنا العزيز الدكتور السيد جعفر شهيدي [٣]، ولو وقفنا إلى جانب هذه القصة وسلمنا بها، فإنّا نسأل

١ـ ربيع الأبرار.

٢ـ تاريخ الإسلام السياسي: ٢/ ٧.

٣ـ الإمام علي بن الحسين، باللغة الفارسية.

أي صلة بين دخول الفرس في التشيّع ومصاهـرة الإمام الحسين يزدجرد، فلو كانت تلك علّة فليكن تسنّن الفرس لاصهار عبد الله بن عمر ومحمّد بن أبي بكـر لهم، فإنّ الـرجلين من أبنـاء الخليفتين، على أنّ هذا التفسير يـدل على سطحية في التفكير وسقماً في المنطق لا يقر به العقلاء.

ثانياً: إرادة هدم الإسلام:

أثار بعض أعداء الإسلام، ومـن أعماه الحقد وخبث السريرة، الكثير من الشبهات حول تمسّك الفرس بالمذهب الشيعي، وولائهم العميق لأهل البيت ـ عليهم السلام ـ، ومن هذه الشبهات السقيمة التـي وجدت من يطبّل لها ويزمّر، هي انّ الفرس ما دخلوا في المذهب الشيعي إلاّ للتستـر من أجل هدم الإسلام تحت هذا الغطاء.

وإلى هذا الرأي السقيم يذهـب ضمناً أحمد أمين في تخرصاته دون أن يحاسب نفسه على تقـوّلاته التي هي أشد المعاول هـدماً في صرح الإسلام لا الفرس الذين يتّهمهم ظلماً وجوراً، حيث قال: والحق انّ التشيّع كان مأوى يلجأ إليه كل مـن أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، ومن كـان يريد ادخال تعاليـم آبائه من يهوديـة ونصرانية وزرادشتية وهنديـة، ومن يريـد استقلال بـلاده والخروج على مملكته، كـل هـؤلاء كانـوا يتّخـذون حـبّ أهل البيـت ستاراً !![1]

وقد استغـل هذه الاطـروحة الخبيثة الكـاتب الأمـريكي «لـو تروب ستودارد» في كتـابه «حاضر العالم الإسـلامي» الذي نقله إلى العـربية الأمير

---

١ ـ فجر الإسلام: فصل الشيعة.

شكيب أرسلان، ونجد الفكرة أيضاً عند صاحب المنار، ومحبّ الدين الخطيب، وغيرهم من كتّاب العصر.

وهذا الكلام أشبه بكلام من أعمى الله بصره وبصيرته، فإنّ من نظر إلى تاريخ الفرس يجد إنّهم خدموا الإسلام بنفسهم ونفيسهم وأقلامهم وآرائهم من غير فرق بين الشيعي والسنّي، وخدمات المذهب الشيعي للإسلام أعظم من أن تحصى، وأوضح من أن تخفيها ارهاصات الحاقدين، وقد تقدم منّا في الصفحات الأُولى وما بعدها دور الشيعة في بناء الحضارة الإسلامية، وما شيعة الفرس إلاّ جزء من عموم الشيعة المسلمين، ولهم أيادي بيضاء مشكورة في خدمة الإسلام، ولن يضرّهم نفث السموم وتخرص المتخرصون.

دول الشيعة:

رغم أنّ الأمويين حاولوا جاهدين القضاء على التشيّع، وأراد العباسيّون الوقوف في وجه انتشاره بعد اليأس عن استئصاله. إلاّ أنّه بلطف الله تعالى نما وازدهر عبر القرون بالرغم من تلك العوائق، بل قامت لهم هنا وهناك دول ودويلات نظير:

١ـ دولة الأدارسة في المغرب، ١٩٤ ـ ٣٠٥ هـ.

٢ـ دولة العلويين في الديلم، ٢٠٥ـ ٣٠٤هـ.

٣ـ دولة البويهيين في العراق وما يتّصل به من بلاد فارس، ٣٢١ـ ٤٤٧هـ.

٤ـ دولة الحمدانيين في سوريا والموصل وكركوك، ٢٩٣ـ ٣٩٢ هـ.

٥ـ دولة الفاطميين في مصر، ٢٩٦ـ ٥٦٧ هـ.

٦ـ دولة الصفويين في إيران، ٩٠٥ـ ١١٣٣ هـ.

٧ـ دولة الزنديين، ١١٤٨ـ ١١٩٣ هـ.

٨ـ دولة القاجاريين، ١٢٠٠ـ ١٣٤٤ هـ.

أضف إلى ذلك وجود امارات للشيعة في نقاط مختلفة من العالم.

أقول: إنّ افاضة القول في مؤسّسي هـذه الدول وترجمة أحوالهم وما آل إليه مصيرهم يحوجنا إلى تأليف كتاب مستقل في ذلك، فمن أراد الاطلاع على ذلك فليراجع الكتب المؤلّفة في هذه المواضيع [1].

الجامعات العلمية للشيعة:

الإسلام دين العلم والمعرفة، دفع الانسان من حضيض الجهل والأُمّية إلى أعلى مستويات العلم والكمال من خلال تشجيعه على القراءة والكتابة [2]، والتدبّر في آثار الكون ومظاهر الطبيعة، ونبذ التقليد في تبنّي العقيدة، فأراد للإنسان حياة نابضة بالفكر والثقافة.

١ـ راجع كتاب «الشيعة والتشيّع» للكاتب القدير محمّد جواد مغنية ـ رضوان الله عليه ـ.

٢ـ قال سبحانه: ﴿إقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وهي أوّل سورة نزلت على النبي الأكرم ﷺ . وأقسم الله عزّ وجلّ بالقلم فقال سبحانه: ﴿ ن و القلم﴾ وبذلك أوقف المجتمع الانساني على العلم وعلو شأنه.

وقد كانت للشيعة خلال القرون الماضية جامعات وحوزات علمية نشير إلى بعضها اجمالاً:

١ـ المدينة المنورة:

إنّ المدينة المنوّرة هي المنطلق العلمي الأوّل لنشر العلم والثقافة فهي المدرسة الأُولى للمسلمين، نشأ فيها عدّة من الأعلام من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ، وعلى رأسهم: ابن عباس حبر الأُمّة، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وأبو رافع الذي هو من خيار شيعة الإمام علي مؤلّف كتاب السنن والأحكام والقضاء [١]، وغيرهم.

ثمّ جاءت بعدهم طبقة من التابعين تخرّجوا من تلك المدرسة على يد الإمام علي بن الحسين زين العابدين ـ عليهما السلام ـ ولقد روى الكليني عن الإمام الصادق أنّه قال: «كان سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمّد بن أبي بكر، وأبو خالد الكابلي من ثقات علي بن الحسين ـ عليهما السلام ـ» [٢].

وازدهرت تلك المدرسة في عصر الإمامين الصادق والباقر ـ عليهما السلام ـ وزخرت بطلاّب العلوم ووفود الأقطار الإسلامية، فكان بيتهما جامعة إسلامية يزدحم فيها رجال العلم وحملة الحديث، يأتون إليها من كل فجّ عميق.

١ـ النجاشي: الرجال ٦٤ برقم ١.

٢ـ الكليني: الكافي كما في تأسيس الشيعة ٢٩٩.

٢ـ الكوفة وجامعها الكبير:

قد سبق أنّ الإمام أمير المؤمنين هاجر من المدينة إلى الكوفة واستوطن معه خيار شيعته ومن تربّى على يديه من الصحابة والتابعين.

ولقد أتـى ابن سعد في طبقاتـه الكبرى على ذكر جماعة مـن التابعين الذين سكنوا الكوفة [1] وكان قد أعـان على ازدهار مدرسة الكـوفة مغادرة الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ المدينة المنوّرة إلى الكوفـة أيّام أبي العباس السفاح حيث بقي فيها مدّة سنتين.

وقد اغتنـم الإمام فرصـة ذهبية أوجـدتها الظروف السياسيـة آنذاك، وهي أنّ الحكومة العباسيـة كانت جديدة العهد بعد سقوط الـدولة الأموية ولم يكن للعباسيين يومذاك قدرة على الوقوف في وجه الإمام لانشغالهم بأمور الـدولة، بـالاضافـة إلى أنّهم كانـوا قد رفعـوا شعار العلـويين للوصـول إلى السلطة، فلـم يكن مـن مصلحتهم في تلـك الفترة الوقـوف في وجه الإمـام ـ عليه السلام ـ، فعمد في زمـن وجوده ـ عليه السلام ـ إلى نشر علـوم جمة، وتخرّج على يديه الكثير من الطلبة النابغين.

وهذا الحسن بن علي بن زياد الوشاء يحكي لنا ازدهار مدرسة الكوفة في تلك الظروف كما ينقله عنه النجاشي:

أدركت في هـذا المسجد ـ يعني مسجـد الكوفة ـ تسعمائة شيـخ كلّ يقول: حدّثني جعفر بن محمّد. ويضيف النجاشي: كان هذا الشيخ عيناً من

١ـ الطبقات الكبرى ٦ وقسّمهم على تسع طبقات.

عيون هذه الطائفة وله كتب، ثمّ ذكر أسماءها [1].

وكان من خرّيجي هذه المدرسة لفيف من الفقهاء الكوفيين، نظير أبان بن تغلب بن رباح الكوفي، ومحمّد بن مسلم الطائفي، وزرارة بن أعين، إلى غير ذلك ممن تكفلت كتب الرجال بذكرهم والتعريف بهم.

ولقد ألّف فقهاء الشيعة ومحدّثوهم في هذه الظروف في الكوفة ٦٦٠٠ كتاب، ولقد امتاز من بينها ٤٠٠ كتاب اشتهرت بالأصول الأربعمائة [2] فهذه الكتب هي التي أدرجها أصحاب الجوامع الحديثية في كتبهم المختلفة.

ولم تقتصر الدراسة آنذاك على الحديث والتفسير والفقه، بل شملت علوماً أُخرى ساعدت على تخريج جملة واسعة من المؤلّفين الكبار الذين صنّفوا كتباً كثيرة في علوم مختلفة ومتنوّعة كهشام بن محمّد بن السائب الكلبي الذي ألّف أكثر من مائتي كتاب [3]، وابن شاذان ألّف ٢٨٠ كتاباً [4]، وابن عمير صنّف ١٩٤ كتاباً، وابن دوّل الذي صنّف ١٠٠ كتاباً [5]، وجابر بن حيان أُستاذ الكيمياء والعلوم الطبيعية، إلى غير ذلك من المؤلّفين العظام في كافّة العلوم الإسلامية.

١ـ النجاشي: الرجال ١/ ١٣٧ رقم ٧٩.

٢ـ وسائل الشيعة ج ٢٠ الفائدة الرابعة ، وقد بيّنا الفرق بين الكتاب والأصل في كتابنا «كليات في الرجال».

٣ـ الطهراني: الذريعة ١/ ١٧.

٤ـ المصدر نفسه.

٥ـ المصدر نفسه.

٣ـ مدرسة قم والري:

دخل الفرس الإسلام وكان أكثرهم على غير مذهب الشيعة، نعم كانت قم والري وكاشان وقسم من خراسان مركزاً للشيعة، وقد عرفت أنّ الأشعريين هاجروا ــ خوفاً من الحجاج ـ إلى قم وجعلوها موطنهم ومهجرهم، وكانت تلك الهجرة نواة للشيعة في إيران.

كانت مدرسة الكوفة مزدهرة بالعلم والثقافة، رغم ما كانت تتعرض له من مضايقات من قبل العباسيين، إلاّ أنّها لم تقف عائقاً أمام تطور العلوم المختلفة وازدياد طلب العلم فيها، ولما هاجر إبراهيم بن هاشم الكوفي تلميذ يونس بن عبد الرحمن وهو من أصحاب الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ إلى قم، نشر فيها حديث الكوفيين فصارت مدرسة قم والري مزدهرة بعد ذاك بالمحدّثين والرواة الكبار. وساعد على ذلك بسط الدولة البويهية نفوذها على تلك البلدان، ولقد تخرج من تلك المدرسة علماء ومحدّثون منهم:

١ـ علي بن إبراهيم شيخ الكليني. الذي كان حيّاً سنة ٣٠٧ هـ [١].

٢ـ محمّد بن يعقوب الكليني، المتوفّى سنة ٣٢٩ هـ مؤلّف الكافي في الفروع والأُصول.

٣ــ علي بن الحسين بن بابويه، والد الشيخ الصدوق صاحب الشرائع، المتوفّى ٣٢٩ هـ.

٤ـ ابن قولويه أبو القاسم جعفر بن محمّد (٢٨٥ـ ٣٦٨هـ) من

١ـ الطهراني: الذريعة ٤/ ٣٠٢ برقم ١٣١٦.

تلامذة الكليني وأُستاذ الشيخ المفيد.

والذي يدلّ على وجود النشاط الفكري في أوائل القرن الثالث ما رواه الشيخ في كتاب الغيبة: أنّه أنفذ الشيخ حسين بن روح - رضي الله تعالى عنه -، النائب الخاص للإمام المنتظر - عجل الله تعالى فرجه الشريف - كتاب التأديب إلى قم وكتب إلى جماعة الفقهاء بها وقال لهم: أُنظروا ما في هذا الكتاب، وأُنظروا فيه شيء يخالفكم. فكتبوا إليه: إنّه كلّه صحيح ...[1].

فهذه الرواية وغيرها تعرب عن وجود نشاط فكري وفقهي في ذينك البلدين في القرن الثالث والرابع، وكفى في فضلها أنّ كتاب «الكافي» وكتاب «من لا يحضره الفقيه» وكتب محمّد بن أحمد بن خالد البرقي (المتوفّى سنة ٢٧٤ هـ) من ثمار هذه المدرسة العظيمة.

٤ـ مدرسة بغداد:

كانت مدرسة الكوفة تزدهر بمختلف النشاطات العلمية عندما كانت بغداد عاصمة الخلافة، ولما دبّ الضعف في السلطة العباسية وصارت السلطة بيد البويهيين تنفّس علماء الشيعة في أكثر مناطق العراق، فأُسست مدرسة رابعة للشيعة في العاصمة أنجبت شخصيات مرموقة تفتخر بها الإنسانية نظير:

١ـ الشيخ المفيد (٣٣٦ـ ٤١٣هـ) تلك الشخصية الفذّة الذي اعترف الموافق والمخالف بعلمه، وذكائه، وزهده، وتقواه، وكان شيخ أساتذة

١ـ الطهراني: الذريعة ٣/ ٢١٠ برقم ٧٧٥.

الكلام في عصره الذي شهد قمة الجدل الفكري والعقائدي بين المدارس الفكرية المختلفة، وكان ـ رحمه الله ـ عظيم الشأن رفيع المنزلة، له كرسي للتدريس في مسجد براثا في بغداد، يقصده العلماء والعوام للاستزادة من علمه، وله أكثر من ٢٠٠ مصنف في مختلف العلوم.

٢ـ السيد المرتضى (٣٥٥ ـ ٤٣٦ هـ) ، علم الهدى، قال عنه الثعالبي في يتيمته (١/ ٥٣) قد انتهت الرئاسة اليوم ببغداد إلى المرتضى في المجد والشرف والعلم والأدب والفضل والكرم.

وفي تاريخ ابن خلّكان: كان إماماً في علم الكلام والأدب والشعر.

والسيد المرتضى الذي حاز من العلوم ما لم يدانه فيه أحد في زمانه، أخذ العلم على يد أُستاذ المتكلّمين، الشيخ المفيد ــ رحمه الله ــ . وله مصنفات كثيرة لا يسعنا عدّها هنا، منها: الانتصار، تنزيه الأنبياء، جمل العلم والعمل وغيرها.

٣ـ السيد الرضي (٣٥٩ ـ ٤٠٦ هــ)، علم من أعلام عصره في العلم والحديث والأدب ، أخذ العلم هو وأخوه السيد المرتضى على يد الشيخ المفيد ـ رحمه الله ــ له مؤلّفات جمّة منها: خصائص الأئمّة، معاني القرآن، حقائق التأويل.

٤ـ الشيخ الطوسي (٣٨٥ـ ٤٦٠ هـ) وهو شيخ الطائفة ومن أعلام الأُمّة، تربّى على يد شيخه المفيد والسيد المرتضى. وله مؤلّفات جمّة غنية عن التعريف، منها كتابا: «التهذيب» و «الاستبصار» وهما من المصادر المهمة عند الشيعة.

وكانت مدرسة بغداد زاهرة في عهد هذه الأعلام الثلاثة واحد بعد الآخر، وقام كل منهم بدور كبير في تطوير العلوم وتقدّمها، وكان يحضر في حلقات دروسهم مئات من المجتهدين والمحدّثين من الشيعة والسنّة.

واستمر هذا الحال إلى أن ضعفت سلطة البويهيين، ودخل طغرل بك الحاكم التركي بغداد، فأشعل نار الفتنة بين الطائفتين السنّة والشيعة، وأحرق دوراً في الكرخ، ولم يكتف بذلك حتى كبس دار الشيخ الطوسي وأخذ ما وجد من دفاتره وكتبه، وأحرق الكرسي الذي كان الشيخ يجلس عليه [١].

٥ـ مدرسة النجف الأشرف:

إنّ هذه الحادثة المؤلمة التي أدّت إلى ضياع الثروة العلمية للشيعة وقتل العديد من الأبرياء، دفعت الشيخ الطوسي ـ رحمه الله ـ إلى مغادرة بغداد واللجوء إلى النجف الأشرف وتأسيس مدرسة علمية شيعية في جوار قبر أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ، وشاء الله تبارك وتعالى أن تكون هذه المدرسة مدرسة كبرى أنجبت خلال ألف سنة من عمرها عشرات الآلاف من العلماء والفقهاء والمتكلّمين والحكماء.

والمعروف أنّ الشيخ الطوسي هو المؤسّس لتلك الجامعة العلمية المباركة، وهو حق لا غبار عليه، ومع ذلك يظهر من النجاشي وغيره أنّ الشيخ ورد عليها وكانت غير خالية من النشاط العلمي. يقول في ترجمة الحسين بن أحمد بن المغيرة: له كتاب عمل السلطان أجازنا بروايته أبو عبد

١ـ ابن الجوزي: المنتظم حوادث عام ٤٤٧ ـ ٤٤٩، ج ١٦/ ٨ و ١٦ ط بيروت.

الله بن الخمري الشيخ صالح في مشهد مولانا أمير المؤمنين سنة ٤٠٠ هـ[١].

ولقد استغل الشيخ تلك الأرضية العلمية، وأعانته على ذلك، الهجرة العلمية الواسعة التي شملت أكثر الأقطار الشيعية، فتقاطرت الوفود إليها، من كلّ فجّ، فصارت حوزة علمية، وكليّة جامعة في جوار النبأ العظيم علي أمير المؤمنين ـ من عصر تأسيسها ٤٤٨ هـ ـ إلى يومنا هذا، ولقد مضى على عمرها قرابة ١٠٠٠ سنة، وهي بحق شجرة طيبة أصلها في الأرض وفرعها في السماء آتت أُكلها كلّ حين بإذن ربّها.

إنّ لجامعة النجف الأشرف حقوقاً كبرى على الإسلام والمسلمين عبر القرون، فمن أراد الوقوف على تاريخها والبيوتات العلمية التي أنجبتها، فعليه الرجوع إلى كتاب «ماضي النجف وحاضرها» يقع في ثلاثة أجزاء[٢]. وقد قام الشيخ هادي الأميني بتخريج أسماء لفيف من العلماء الذين تخرّجوا من هذه المدرسة الكبرى، فراجع.

٦ـ مدرسة الحلّة:

في الوقت الذي كانت جامعة النجف تزدهر وتنجب جملة من العلماء الأفذاذ، تأسست للشيعة في الحلّة الفيحاء جامعة كبيرة أُخرى كانت تحتفل بكبار العلماء، وتزدهر بالنشاط الفكري، عقدت فيها ندوات البحث والجدل، وأُنشأت فيها المدارس والمكاتب، وظهر في هذا الدور فقهاء كبار كان لهم الأثر الكبير في تطوير الفقه الشيعي وأُصوله، نأتي بأسماء بعضهم:

١ـ النجاشي: الرجال ١/ ١٩٠ برقم ١٦٢.

٢ـ تأليف الشيخ جعفر آل محبوبة طبع النجف.

١ ـ المحقّق الحلّي، نجم الدين أبو القاسم جعفر بن سعيد، من كبار فقهاء الشيعة، يصفه تلميذه ابن داود بقوله: الإمام العلاّمة، واحد عصره، كان ألسن أهل زمانه، وأقواهم بالحجّة، وأسرعهم استحضاراً[1] توفّي عام ٦٧٦ هـ. له من الكتب: «شرائع الإسلام» في جزئين، وهو أثر خالد شرحه العلماء وعلّقوا عليه. واختصره في كتاب أسماه «المختصر النافع» وشرحه أيضاً وأسماه «المعتبر في شرح المختصر».

٢ ـ العلاّمة الحلّي، جمال الدين حسن بن يوسف (٦٤٨ ـ ٧٢٦ هـ) تخرج على يد خاله المحقّق الحلّي في الفقه، وعلى يد المحقّق الطوسي في الفلسفة والرياضيات، وعرّف بالنبوغ وهو بعد لم يتجاوز سن المراهقة، وقد بلغ الفقه الشيعي في عصره القمة، وله موسوعات فيه أجلّها «تذكرة الفقهاء» ولعلّه لم يؤلّف مثله.

٣ ـ فخر المحققين، محمّد بن الحسن بن يوسف (٦٨٢ ـ ٧٧١ هـ) ولَد العلاّمة الحلّي، تتلمذ على يد أبيه ونشأ تحت رعايته وعنايته، وألّف والده لفيفاً من كتبه بالتماس منه، وقد تتلمذ عليه إمام الفقه الشهيد الأوّل (٧٣٤ ـ ٧٨٦ هـ).

إلى غير ذلك من رجال الفكر كابن طاووس، وابن ورّام، وابن نما وابن أبي الفوارس الحلّيين، الذين احتفلت بهم مدرسة الحلّة، ولهم على العلم وأهله أيادي بيضاء لا يسعنا ذكر حياتهم.

١ ـ ابن داود: الرجال / القسم الأوّل ٦٢ برقم ٣٠٤.

٧ـ الجامع الأزهر:

امتدّ سلطان الدولة الفاطمية من المحيط الأطلسي غرباً إلى البحر الأحمر شرقاً، ونافست الدولة الفاطمية الشيعية خلافة الحكّام العباسيين في بغداد، وكان المعز لدين الله ـ أحد الخلفاء الفاطميين بمصر ـ رجلاً مثقفاً ومولعاً بالعلوم والآداب، وقد اتّخذ بفضل تدبير قائده العسكري القاهرة عاصمة للدولة الجديدة، وبنى الجامع الأزهر، وعقدت فيه حلقات الدرس، وكان يركز على نشر المذهب الشيعي بين الناس، وقد أمر أن يؤذّن في جميع المساجد بـ «حيّ على خير العمل» ومنع من لبس السواد شعار العباسيين.

إنّ المسلمين عامة ـ وفي طليعتهم المصريين ـ مدينون في ثقافتهم وازدهار علومهم وتقدّمهم في مجال العلم والصنعة للفاطميين وهممهم العالية، فإنّ الجامع الأزهر لا يزال مزدهراً من يوم بني إلى يومنا هذا كأعظم الجامعات العلمية [1]، وهي كانت جامعة شيعية من بدء تأسيسها إلى قرنين.

و إن شئت أن تقف على صورة صغيرة من خدماتهم الجليلة فاقرأ ما كتبه السيد مير علي حيث ذكر: «كان الفاطميون يشجّعون على العلم، ويكرمون العلماء، فشيدّوا الكليّات، والمكاتب العامة، ودار الحكمة، وحملوا إليها مجموعات عظيمة من الكتب في سائر العلوم والفنون، والآلات الرياضية، لتكون رهن البحث والمراجعة، وعيّنوا لها أشهر الأساتذة، وكان التعليم فيها حرّاً على نفقة الدولة، كما كان الطلاب يمنحون جميع الأدوات

١ـ بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٢/ ١٠٨.

الكتابية مجّاناً، وكان الخلفاء يعقدون المناظرات في شتى فروع العلم، كالمنطق والرياضيات والفقه والطب، وكان الأساتذة يرتدون لباساً خاصاً عرف بالخلعة، أو العباءة الجامعية ـ كما هي الحال اليوم ـ وأُرصدت للانفاق على تلك المؤسّسات وعلى أساتذتها، وطلابها وموظّفيها، أملاك بلغ إيرادها السنوي ٤٣ مليون درهم، ودعي الأساتذة من آسيا والأندلس لالقاء المحاضرات في دار الحكمة، فازدادت بهم روعة وبهاء [١].

وقد ألّف غير واحد من المؤرّخين كتباً ورسائل حول الأزهر الشريف ومن أراد التفصيل فليرجع إليها.

٨ ـ مدارس الشيعة في الشامات:

كانت الشيعة تعيش تحت الضغط والارهاب السياسي من قبل الأمويين والعباسيين، فلما دبّ الضعف في جهاز الخلافة العباسية وظهرت دول شيعية في العراق ـ خصوصاً دولة الحمدانيين في الموصل وحلب ـ استطاعت الشيعة أن تجاهر بنشاطها الثقافي، وفي ظل هذه الحرية أُسّست مدارس شيعية في جبل عامل، وحلب، تخرّج منها العديد من العلماء الأفذاذ والفضلاء.

فأمّا حلب فقد ازدانت بالعديد من الأسماء اللامعة كأبناء زهرة وغيرهم، من رجال العلم والأدب.

وأمّا مدرسة جبل عامل فقد كانت تتراوح بين القوة والضعف، إلى أن رجع الشهيد الأوّل من العراق إلى مسقط رأسه «جزّين»، فأخذت تلك

١ ـ السيد مير علي: مختصر تاريخ العرب ٥١٠ ط ١٩٣٨م.

المدرسة في نفسها نشاطاً واسعاً، وقد تخرج من تلك المدرسة منذ تلك العهود إلى يومنا هذا مئات من الفقهاء والعلماء لا يحصيها إلاّ الله سبحانه، ومن الشخصيات البارزة في هذه المدرسة: المحقّق الشيخ علي الكركي مؤلّف «جامع المقاصد» (المتوفّى عام ٩٤٠هـ) وبعده الشيخ زين الدين المعروف بالشهيد الثاني (٩١١ ـ ٩٦٦ هـ).

هذا غيض من فيض وقليل من كثير، ممّن أنجبتهم هذه التربة الخصبة بالعلم والأدب.

ولنكتف بهذا المقدار من الاشارة إلى الجامعات الشيعية، فإنّ الاحصاء يحوجنا إلى بسط في المقال، ويطيب لنا الاشارة إلى أسماء المعاهد الأُخرى مجردة.

جامعات أُخر للشيعة في أقطار العالم:

كانت للشيعة جامعات متعددة في أقطار العالم المختلفة لم تزل بعضها زاهرة إلى اليوم. إنّ الشرق الإسلامي كأفغانستان والباكستان والهند تزخر بالشيعة، ولهم هناك جامعات وكليّات في هرات وبومبي ولكنهو، كما أنّ للشيعة نشاطات ثقافية في آسيا الجنوبية الشرقية كماليزيا وتايلند، ومن أراد الوقوف على الخريجين من هذه المدارس فعليه أن يقرأ تاريخ هذه البلاد، خصوصاً بلاد الهند.

ومنذ تسنّم الصفوية منصّة الحكم أُسّست في إيران حوزات فقهية وكلامية وفلسفية زاهرة، وقد تخرج منها آلاف من العلماء، ومن هذه الجامعات: جامعة اصفهان، وطهران، وخراسان، وتبريز، وقزوين، وزنجان، وشيراز، وأخيراً الجامعة الكبرى للشيعة في قم المحمية بجوار

فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ . وقد تأسست هذه الجامعة سنة ١٣٤٠ هـ على يد رجل العلم والزهد الشيخ عبد الكريم اليزدي (١٢٧٤ ـ ١٣٥٥ هـ)، ولم تزل هذه الجامعة مشعَّة زاهرة، وقد تقاطر إليها الأساتذة ووفود الطلاب من نقاط شتّى، ومن جنسيات مختلفة منذ أوّل يومها، ويتجاوز عدد الطلاب فيها في هذه السنين ٢٥٠٠٠ طالب، وفيها مكتبات زاخرة، ومؤسّسات علمية، ومراكز تحقيقية، ومطابع حديثة، وعمالقة الفكر وأساتذة القلم، ومنها تفجّرت الثورة الإسلامية على يد أحد خريجيها الإمام الخميني ـ قدس الله سره ـ فانبثقت أنوارها على ربوع العالم، وأيقظت الأُمّة من سباتها العميق.

عدد الشيعة:

إنّ مراكز الاحصائيات في العالم تخضع لنفوذ أعداء الإسلام خصوصاً الصهاينة، وقد صار ذلك سبباً لعدم وجود احصاء دقيق بأيدينا عن عدد المسلمين وعامة طوائفهم ومنهم الشيعة. ولكن القرائن تشهد على أنّ الشيعة بطوائفها الثلاث: الإمامية والزيدية والاسماعيلية يشكّلون خمس أو ربع المسلمين، فلو كان عدد المسلمين ـ على ما يقولون ـ مليارد نسمة فالشيعة تبلغ ٢٠٠ مليون، وأكثرهم عدداً هم الإمامية المعروفون بالأثني عشرية أو الجعفرية.

نسأله سبحانه أن يرفع كلمة التوحيد في ربوع العالم، ويوفّق المسلمين لتوحيد الكلمة ورص الصفوف، إنّه على ذلك لقدير.

❁ وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين ❁

فهرس
مصادر الكتاب

نبدأ تبرّكاً بالقرآن الكريم.

(حرف الألف)

١ـ الإتقان: جلال الدين السيوطي (٨٤٩ـ٩١١ هـ) دار ابن كثير، بيروت.
٢ـ أخبار النحويين واللغويين: ابن النديم (م ٣٨٥ هـ).
٣ـ الاختصاص: الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (٣٣٦ـ ٤١٣ هـ) مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدسة.
٤ـ أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين العاملي (م ١٣٧١ هـ) دار التعارف، بيروت.
٥ـ الأمالي: الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (م ٤١٣ هـ) قم ـ ١٤٠٤هـ.
٦ـ الإمام علي بن الحسين: الدكتور السيد جعفر الشهيدي.
٧ـ الإيضاح: الفضل بن شاذان (م ٢٦٠ هـ) انتشارات جامعة طهران، طهران ـ ١٤٠٤ هـ.

(حرف الباء)

٨ـ البداية والنهاية: الحافظ أبو الفداء: ابن كثير (م ٧٧٤ هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٢ هـ.
٩ـ بلوغ المرام: ابن حجر العسقلاني (م ٨٥٢ هـ) دار النهضة، مصر.

(حرف التاء)

١٠ـ تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان، دار الهلال القاهرة ـ ١٩٣١ م.
١١ـ تاريخ الإسلام السياسي: الدكتور حسن إبراهيم حسن، مصر ـ ١٩٣٥م.
١٢ـ تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي: أحمد بن علي (م ٤٦٣ هـ) المكتبة السلفية، المدينة المنوّرة.
١٣ـ تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي (م ٩١١ هـ) مطبعة المدني، القاهرة ـ ١٣٨٣ هـ.
١٤ـ تاريخ الشعوب الإسلامية: كارل بروكلمان، طبع بيروت ـ ١٩٦٥م.
١٥ـ تاريخ الشيعة: محمد حسين المظفر (م ١٣٧٥ هـ)، منشورات مكتبة بصيرتي، قم المقدسة.
١٦ـ تاريخ الطبري المسمّى (تاريخ الأمم والملوك) : محمد بن جرير (م ٣١٠ هـ) مؤسّسة الأعلمي، بيروت.
١٧ـ تاريخ مختصر الدول: ابن العبري: العلاّمة غريغوريوس الملطي (م ٦٨٥ هـ) مؤسّسة منابع الثقافة الإسلامية، قم المقدسة.
١٨ـ تأسيس الشيعة: السيد حسن الصدر (١٢٧٢ ـ ١٣٥٤ هـ) مطبعة المعارف بغداد ـ ١٣٧٠ هـ
١٩ـ تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي (٥٨١ ـ ٦٥٤ هـ) مؤسّسة أهل البيت، بيروت ـ ١٤٠١ هـ.
٢٠ـ تفسير المنار: محمد رشيد رضا (م ١٣٥٤ هـ) دار المنار، مصر ـ ١٣٧٣ هـ.
٢١ـ التفسير والمفسرون: الدكتور محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، مصر ـ ١٣٩٦ هـ.
٢٢ـ تقريب التهذيب: ابن حجر العسقلاني (م ٨٥٢ هـ) بيروت ـ ١٩٧٥م.
٢٣ـ تقييد العلم: الخطيب البغدادي (م ٤٦٣ هـ) نشر دار السنّة ـ ١٩٧٤م.
٢٤ـ تنقيح المقال: عبد الله المامقاني (١٢٩٠ ـ ١٣٥١ هـ) النجف الأشرف ـ ١٣٥٠هـ.

٢٥ـ التوحيد: الصدوق: محمد بن بابويه القمي (٣٠٦ ــ ٣٨١ هـ) مكتبة الصدوق، طهران.

(حرف الحاء)

٢٦ـ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري: آدم متز، ترجمة الدكتور عبد الهادي أبو ريدة، مصر ـ ١٣٦٧ هـ.
٢٧ـ الحوادث الجامعة: ابن الفوطي: عبد الرزاق بن أحمد (م ٧٣٣ هـ) تحقيق الدكتور مصطفى جواد، بغداد ـ ١٣٥١ هـ.

(حرف الخاء)

٢٨ـ خطط الشام: محمد كرد علي، مصر ـ ١٩٦٣م.
٢٩ـ الخطط المقريزية: تقي الدين المقريزي (م ٨٤٥ هـ) دار صادر، بيروت.
٣٠ـ الخلاصة: العلامة الحلي (٦٤٨ ـ ٧٢٦ هـ) النجف الأشرف.

(حرف الذال)

٣١ـ الذريعة: آقا بزرگ الطهراني (م ١٣٨٩ هـ) دار الأضواء، بيروت.

(حرف الراء)

٣٢ـ ربيع الأبرار: الزمخشري: محمود بن عمر (٤٦٧ـ ٥٣٨ هـ) منشورات الشريف الرضي، قم ـ ١٤١٠هـ.
٣٣ـ الرجال: ابن داود: الحسن بن علي الحلّي (من علماء القرن السابع الهجري) طهران ـ ١٣٤٢ هـ.
٣٤ـ الرجال: أبو عمرو الكشي (من علماء القرن الرابع الهجري) مؤسّسة الأعلمي، كربلاء، العراق.
٣٥ـ الرجال: النجاشي: أحمد بن علي (٣٧٢ ـ ٤٥٠ هـ) بيروت ـ ١٤٠٩ هـ.

٣٦ـ رسالة في آل أعين: أبو غالب الزراري (م ٣٦٨ هـ) مطبعة ربّاني، اصفهان ـ ١٣٩٩هـ.

٣٧ـ الرواشح السماوية: المحقّق الداماد (م ١٠٤١ هـ) طبعة حجر، إيران.

٣٨ـ روضات الجنات: محمد باقر الخوانساري (م ١٣١٣هـ) طهران ـ ١٣٩٠هـ.

(حرف الشين)

٣٩ـ شذرات الذهب: ابن عماد الحنبلي (١٠٣٢ ـ ١٠٨٩ هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٣٩٩ هـ.

٤٠ـ شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد (م ٦٥٥ هـ) دار احياء الكتب العربية، القاهرة ـ ١٣٧٨ هـ.

٤١ـ الشفاء: الشيخ الرئيس ابن سينا (م ٤٢٨ هـ) انتشارات بيدار، إيران.

٤٢ـ شمس العرب تسطع على الغرب: المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه، دار الآفاق الجديدة، بيروت ـ ١٤٠١ هـ.

(حرف الصاد)

٤٣ـ الصحيح: البخاري: محمد بن إسماعيل (م ٢٥٦هـ) مكتبة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر ـ ١٣١٤هـ.

(حرف الطاء)

٤٤ـ الطبقات الكبرى: محمد بن سعد (م ٢٣٠ هـ) دار صادر، بيروت ـ ١٣٨٠هـ.

(حرف العين)

٤٥ـ العبر في خبر من غبر: الذهبي: أبو عبد الله: محمد بن أحمد (٦٧٣ ـ ٧٤٨ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

(حرف الغين)

٤٦ـ الغارات: ابن هلال الثقفي (م ٢٨٣ هـ) دار الكتاب الإسلامي، قم ـ ١٤١١هـ.
٤٧ـ الغدير: العلامة عبد الحسين أحمد الأميني (١٣٢٠ ـ ١٣٩٠ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٣٨٧ هـ.

(حرف الفاء)

٤٨ـ فجر الإسلام: أحمد أمين (م ١٣٨٨ هـ) نشر دار الكتاب العربي.
٤٩ـ فرج المهموم: علي بن موسى بن طاووس (م ٦٦٤ هـ) النجف الأشرف ـ ١٣٦٨هـ.
٥٠ـ الفصول المختارة: الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (م ٤١٣ هـ) مكتبة الداوري، قم ـ ١٣٩٦هـ.
٥١ـ فلاسفة الشيعة: الشيخ عبد الله نعمة (المعاصر) منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
٥٢ـ الفهرست: ابن النديم: محمد بن إسحاق (٢٩٦ ـ ٣٨٥ هـ) القاهرة ـ ١٣٤٨هـ.
٥٣ـ الفهرست: الطوسي: محمد بن الحسن (م ٤٦٠ هـ) جامعة مشهد، إيران ـ ١٣٥١هـ.

(حرف القاف)

٥٤ـ قاموس الرجال: محمد تقي التستري (المعاصر) طهران ـ ١٣٩٧ هـ.
٥٥ـ قصة الحضارة: ويل دورانت، دار الجيل، بيروت ـ ١٤٠٨هـ.

(حرف الكاف)

٥٦ـ الكافي: الكليني: محمد بن يعقوب (م ٣٢٩ هـ) دار الكتب الإسلامية، طهران ـ ١٣٩٧ هـ.

٥٧ـ الكامل في التاريخ: ابن الأثير الجزري: محمد بن محمد (م ٦٣٠ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت.
٥٨ـ كشف الظنون: حاج خليفة مصطفى بن عبد الله (م ١٠٦٧ هـ). مطبعة العالم ـ ١٣١١ هـ.
٥٩ـ كنز العمال: المتقي الهندي (م ٩٧٥هـ) مؤسّسة الرسالة، بيروت ـ ١٤٠٥ هـ.
٦٠ـ كنز الفوائد: الكراجكي: محمد بن علي بن عثمان (م ٤٤٩ هـ) دار الأضواء، بيروت ـ ١٤٠٥ هـ.

(حرف اللام)

٦١ـ لسان الميزان: العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر (م ٨٥٢ هـ) مؤسّسة الأعلمي، بيروت.

(حرف الميم)

٦٢ـ ماضي النجف وحاضرها: الشيخ جعفر آل محبوبة (م ١٣٧٧ هـ) دار الأضواء، بيروت ـ ١٤٠٦هـ.
٦٣ـ مختصر تاريخ العرب: السيد مير علي، طبع مصر ـ ١٩٣٨م.
٦٤ـ مرآة الجنان: أبو محمد: عبد الله بن أسعد اليافعي (م ٧٦٨ هـ) دائرة المعارف العثمانية، الهند ـ ١٣٣٧هـ.
٦٥ـ المسند: أحمد بن حنبل (م ٢٤١هـ) دار الفكر، بيروت.
٦٦ـ مصفى المقال: آقا بزرگ الطهراني (م ١٣٨٩ هـ) دار العلوم، بيروت ـ ١٤٠٨هـ.
٦٧ـ معالم العلماء: ابن شهر آشوب: محمد بن علي السروي المازندراني (٤٨٨ـ ٥٨٨ هـ) النجف الأشرف ـ ١٣٨٠ هـ.
٦٨ـ معاني الأخبار: الصدوق: محمد بن بابويه القمي (م ٣٨١ هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٣٩٩هـ.
٦٩ـ معجم الأدباء: ياقوت بن عبد الله الحموي (م ٢٦٢ هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٠هـ.

٧٠ـ الملل والنحل: الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم (٤٧٩ـ ٥٤٨هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٤٠٢ هـ.
٧١ـ المنتظم: ابن الجوزي: عبد الرحمان بن علي البغدادي (م ٥٩٧هـ) حيدر آباد ـ ١٣٥٧هـ، وأخيراً طبع في لبنان.
٧٢ـ ميزان الاعتدال: محمد بن أحمد الذهبي (م ٧٤٨ هـ) دار المعرفة، بيروت.

(حرف النون)

٧٣ـ نهج البلاغة: جمع الشريف الرضي (٣٥٩ـ ٤٠٤ هـ) بيروت ـ ١٣٨٧هـ.

(حرف الواو)

٧٤ـ الوحي المحمدي: محمد رشيد رضا (م ١٣٥٤هـ) طبع مصر.
٧٥ـ وسائل الشيعة: الحر العاملي: محمد بن الحسن (١٠٣٣ـ ١١٠٤هـ) دار احياء التراث العربي، بيروت ـ ١٤٠٣هـ.
٧٦ـ وفيات الأعيان: ابن خلّكان: أحمد بن محمد (٦٠٨ـ ٦٨١ هـ) منشورات الشريف الرضي، قم ـ ١٣٦٤هـ.

(حرف الياء)

٧٧ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: أبو منصور: عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (م ٤٢٩هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٣٩٢ هـ.

فهرس
موضوعات الكتاب

الموضوع | **الصفحة**